٥ – استنساخ البشر وأضراره على الإنسانية[١]

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

فى هذه الأيّام يتحدث الناس عن قضية خطيرة، تحدثت عنها الصحف والإذاعات والتلفازات وأجهزة الإعلام المختلفة، قضية علميّة شغلت الناس من كلّ حدب وصوب وعلى جميع الاختصاصات، هى القضيّة الى يسمّونها (الاستنساخ) : أن تستنسخ من كائن حىّ نسخاً عدّة . . نسخاً مكرّرة لشخص واحد !!

وهذا أمر جرّبه الناس منذ عرفوا ما سمّى بالهندسة الوراثيّة، عندما اكتشف الإنسان – الذى علّمه الله ما لم يكن يعلم – أنّ هناك عوامل وراثيّة هى التى تتحكم فى الإنسان، وتحدّد شكله وصورته وهيئته وذكاءه وقوّته الجسميّة وطوله وقصره وبياضه أو سواده . . . إلخ . تلك التى يسمّونها (الجينات)، التى تحمل عوامل الوراثة من الأب ومن الأمّ ومن الجدّة ومن الجد، ومن القبيلة، ومن الفصيل، ومن النوع . منذ اكتشف الناس هذه الأشياء، وهم يطبقونها فى عالم الإنسان وعالم الحيوان وعالم النبات، بأطر مختلفة وضوابط محدّدة .

ولكنّهم فى الآونة الأخيرة – فى إطار ما عرف باسم (الثورة البيولوجيّة) . . ثورة علم الأحياء وعلوم الوراثة – وصلوا إلى استنساخ فى عالم الحيوان . وهذا ما نُشر من استنساخ تلك النّعجة الأسكتلنديّة التى يسمّونها (دُوللى)، بواسطة خلية أخذت من خروف ذكر وضعت – بعد أن عولجت معالجة معيّنة – فى بييضة منزوعة النّواة من الأنثى – أى هذه البييضة لا تحمل العوامل الوراثيّة – ثمّ وضعت فى رحم الأنثى الشاة . وكانت النتيجة أن جىء بنسخة طبق الأصل من النّعجة التى أخذ منها – أو الخروف الذى أخذ منه – تلك الخليّة .

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى يوم الجمعة ١٢/١١/١٤١٧ هـ الموافق ٢١/٣/١٩٩٧).

OBEIKAN.COM

وقالوا: إنّ هذا يمكن أن يطبق فى عالم الإنسان، نستطيع أن نأخذ خليّة من ذكر ونعالجها تلك المعالجة، ونأخذ بييضة من امرأة ننزع منها نواتها وعوامل الوراثة فيها، ونغرس تلك الخليّة فى تلك البييضة، ونضعها فى رحم امرأة، فتأتى لنا بنسخة طبق الأصل من الذكر الذى أخذت منه الخليّة. ويمكن أن تُخلّق من هذا الشخص مئات وآلاف الأشخاص طبق الأصل، هو هو، بجسمه ولونه وصورته وذكائه وصفاته الجسميّة وصفاته العقليّة وصفاته النفسيّة!

هكذا قالوا.

ومن هنا تخوّف الناس فى العالم كلّه، وهاج هائجهم. علماء القانون، وعلماء الاجتماع، وعلماء الأخلاق، وعلماء التربية، وفوق ذلك كلّه علماء الدين، من مسلمين ومن نصارى، كلّهم تخوّفوا من خطورة هذا الأمر.

ماذا لو تمادى الناس فى هذه القضيّة واستطاعوا أن يُخلّقوا[1] إنساناً بهذه الصورة؟ ماذا يمكن أن يقول الناس وأن يقول الدين وأن يقول الشرع وأن تقول الأخلاق أمام هذه القضيّة؟ هل نسمح بالعبث فى الجينات والعوامل الوراثيّة وهندسة الوراثة إلى هذا الحد؟ هل يقبل الشرع ويقبل الدين وتقبل العقائد السماويّة – بل هل تقبل القيم الأخلاقية وتقبل الأوضاع الاجتماعيّة – هذا التصرّف؟

نقول: لا، ثم لا.

إنّ الإسلام يفسح ذراعيه للتقدم العلمى، ونحن نعتبر أنّ التقدّم العلمى فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتّمها الواقع، وفقهاء المسلمين يعتبرون ذلك التفوق والتقدم من فروض الكفاية على الأمة، إذا فرطت فيه ركبها الإثم والخطيئة.

لابد للمسلمين إذن أن يتبوّؤا مكانهم فى المجال العلمى، وقد كانوا سادة

---

(١) هم يُخلِّقون ولا يخلقون، وفرق بين الخلق والتخليق، الخلق لله عزّ وجلّ، والتخليق أو التكوين يستطيعه الإنسان بواسطة ما خلق الله. الإنسان لم يخلق المادّة الحيّة.. لم يخلق الخليّة.. لم يخلق البييضة، الله هو الذى خلقها، ولكن الإنسان استطاع بما خلق الله أن يتوصل إلى هذه النتائج، وأن يصنع أناسيّ متشابهين مكرّرين، كأنّها صور فوتوغرافيّة لشخص واحد (القرضاوى).

الدنيا فى هذا المجال لعدّة قرون، كانوا معلّمى العالم، وكان الطلاّب يأتون إليهم من أوربا ومن غيرها ليتعلّموا فى جامعات المسلمين، وكان علماء المسلمين هم أساتذة الدنيا، والمراجع العالميّة للمسلمين هى مراجع العلم للعالم، واللّغة العربّية هى لغة العلم.

نحن نرحب بالعلم، ولكن يجب أن يكون العلم فى خدمة الإيمان، فى خدمة الأخلاق.. فى خدمة القيم... فى خدمة الإنسان، لا أن ينطلق العلم سائباً، لا معالم تهديه، ولا ضوابط تعصمه، هنا يكون الخطر كلّ الخطر.

القرآن ضرب لنا مثلاً بسيّدنا سليمان عليه السلام، حينما قال للملأ من حوله: ﴿ .. **أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا** [أى: عرش بلقيس ملكة سبأ] **قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** [أى: فى لمح البصر، قبل أن تغمض عينيك وتفتحها، وفعلاً أتاه به بواسطة هذا العلم الذى آتاه الله] **فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠]. هذا منطق الإيمان، لا يطغى بسبب العلم ولا يتجبّر ولا يغتر، وإنّما يرجع الفضل لله عزّ وجلّ، ويرى أنّ هذا ابتلاء وامتحان له: أيشكر أم يكفر؟

وكذلك ذكر لنا القرآن قصّة أخرى: قصّة ذى القرنين، حينما أقام السّدّ العظيم بين يأجوج ومأجوج وبين أولئك القبائل الذين استنجدوه فأنجدهم وجندهم للعمل معه فى ذلك ﴿ **قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ....** ﴾ [الكهف: ٩٥، ٩٦] إلخ، فلما أقام هذا السّدّ العظيم ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾ [الكهف: ٩٨].

العلم إذنْ كان فى إطار الإيمان، كان نافعاً ولم يكن ضارا، كان معمّراً، ولم يكن مخرّباً ولا مدمّرا. وهذا شأن العلم فى الحضارة الإسلامية.

الحضارة الحديثة نرى العلم فيها لا ينضبط بقيم الإيمان والأخلاق، قد ينفع وقد يضرّ، قد يبنى وقد يدمّر، قد يحيى وقد يميت، كما رأينا فى الأسلحة النّوويّة، وكما رأينا فى الأسلحة الجرثوميّة، والأسلحة الكيماويّة، وأدوات التدمير وغيرها. فهى لا تقف عند حدّ منفعة الإنسان، بل قد تستخدم فيما يضرّ الإنسان، وفيما يدمّر الحياة والأحياء.

من أجل هذا نتوقف فى هذه القضيّة، ونقول: هناك عدة اعتبارات لا بدّ أن نأخذها فى الحسبان:

● **الاستنساخ ضد التنوع والتمايز :**

الاعتبار الأوّل: أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الناس متمايزين، خلق هذا الكون على أساس التنوّع واختلاف الألوان، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، العلماء الذين يعرفون أسرار هذه الكائنات هم الذين يخشون الله، لأنّ من عرف الله فى آياته يخشاه سبحانه وتعالى.

« مختلف ألوانه »: اختلاف الألوان هو تعبير عن التنوّع الذى خلق الله عليه هذه الكائنات وأقام عليه هذا الكون، فلا يجوز إذن أن نجعل النّاس متشابهين.. نسخاً مكرّرة، هنا تفسد الحياة.

الله تعالى يقول: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ..** ﴾ [الروم: ٢٢]، بعض المفسرين يقول: ليس اختلاف اللسان أنّ هذا يتكلم بالعربى وهذا يتكلم بالانكليزى، لا، اختلاف الألسن: اختلاف الأصوات، كلّ إنسان له صوته المميزّ..عرف فى عصرنا ما سمّى باسم (البصمة الصوتيّة)، كلّ إنسان له بصمة صوتيّة مثل بصمة بنانه تميزّه عن غيره، وبعض الناس يضع أمواله فى حساب فى بنك معيّن ويقول: إنّ توقيعى هو صوتى. هذا اختلاف الألسن.. اختلاف الأصوات.

وقال: اختلاف الألوان: فسّرها بعضهم باختلاف الصور، كلّ إنسان له صورة تميّزه عن غيره، تستطيع أن تعرف زيداً من عمرو، وعلياً من عباس، وهكذا، كلّ واحد له صورته المميزّة.

ولكن إذا استطاع هؤلاء أن يخلّقوا أناساً متشابهين فكيف يتميّز النّاس؟ كيف تعرف زيداً من عمرو؟ كيف تعرف فلاناً من علاّن؟ كيف تعرف هذه من تلك؟ كيف يعرف الأستاذ تلاميذه؟ وإذا دخل أحدهم مكان صاحبه في الامتحان كيف يعرف هذا من هذا؟ كيف يُعرف المجرم إذا أجرم وكيف يحقق معهم المحقق، ويحاكمهم القاضي، وكلهم صور واحدة؟ كيف تستطيع أن تميزّ المجرم من غيره؟ بل كيف يستطيع الرجل أن يميزّ امرأته من غيرها؟ وكيف تستطيع المرأة أن تميزّ زوجها من غيره؟ ستفسد الحياة حينئذ، حين يتشابه الناس ولا يتمايزون.

هذا التمايز صفة مطلوبة، بل ضرورية لتستقيم الحياة، إن ربنا سبحانه وتعالى جعل لكلّ إنسان شخصيّته المستقلّة، على أساسها يخاطب، وعلى أساسها يُحاسب، وعلى أساسها يُثاب ويُعاقب، وعلى أساسها يتحمّل المسؤوليّة في الدنيا والحساب في الآخرة. فإذا خلّق هؤلاء أناساً متكرّرين، فهؤلاء قد أفسدوا الحياة الإنسانية والاجتماعية.

● **التعريض لخطر الأمراض القاتلة :**

ثمّ هذا نفسه يعرّض الناس لأخطار، إذا أصاب واحداً من هؤلاء مرض أو فيروس، أصيب الجميع. يمكن لمرض واحد أن يقضي على هذا القطيع البشرى كلّه.

● **استغلال قوى الشر للاستنساخ :**

ومن ناحية أخرى: يمكن لبعض جهات الشر وقوى الإثم والعدوان أن تستغلّ هذا. (ألمافيا) العالميّة تستطيع أن تصنع من بعض الأشرار نسخاً متكرّرة. النّاس كانوا يشكون من (هتلر) واحد، تستطيع إذن أن تصنع عدّة (هتالر) من هذا الإنسان الشرّير، وهذا يهدّد الحياة بالخطر.

OBEIKAN.COM

هناك أخطار كثيرة لا نستطيع أن نتنبّأ بها. كلّ هذا لأنّه فقد عنصر التمايز.. عنصر التنوع الموجود بالفطرة بين الناس بعضهم وبعض.

الاستنساخ ضد ظاهر الزوجية :

الاعتبار الثانى: أنّ الله خلق الكون كلّه أزواجاً، كما قال تعالى: ﴿ **وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ [النّبأ: ٨]، وكما قال عزّ وجلّ: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يس: ٣٦].

كان الناس قديماً يظنّون أنّ الأزدواج – الذى يتمثل فى الذكورة والأنوثة – قائم فى عالم الإنسان وفى عالم الحيوان. وعرفوا فى عالم النبات أنّ فى النخيل ذكوراً وإناثا. ثم جاء العلم الحديث وقال: كلّ النباتات فيها ذكورة وأنوثة، بل كلّ الكائنات، الكهرباء فيها موجب وسالب، الذرة – وهى وحدة البناء الكونى – فيها شحنة كهربائيّة موجبة وشحنة كهربائيّة سالبة (إلكترون وبروتون)، الحياة كلّها والكون كلّه قائم على سنة الزوجية. وهذا ما قرره القرآن فى هذه القاعدة الكونيّة العامّة حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٩].

هؤلاء يريدون أن يبطلوا هذه القاعدة (قاعدة الزوجية) فى الكون وفى الحياة، ويقولون: يمكن أن يستغنى النّاس عن الذكور نهائياً أو عن الإناث نهائياً، ويبقى جنس واحد. وقالت إحدى الكاتبات الأمريكيّات: نستطيع أن نجعل كوكبنا هذا – تعنى الأرض – كوكباً للنساء، وتصبح الأرض للنّساء وحدهنّ ولا داعى للذكور !!

الله خلق الزوجين الذكر والأنثى[1]، فكيف يعيش هؤلاء بجنس واحد؟

حينما خلق الله آدم لم يدعه وحده، وإنّما خلق له من جنسه زوجاً ليسكن إليها، وقال له: ﴿ **اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ..** ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩]، لأنّه

(١) كما قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ** ﴾ [النجم: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ** ﴾ [القيامة: ٣٩].

OBEIKAN.COM

لا معنى لجنّة يعيش الإنسان فيها وحده، فمن أجل ذلك حدث هذا الإزدواج، فخلق الله الناس من ذكر وأنثى.

وهؤلاء يريدون أن يستغنوا بأحد الصنفين عن الآخر، وفى هذا تدمير للحياة، ومخالفة لفطرة الله التى فطر الناس عليها.

حاول ذلك من قبلُ قومُ لوط، الذين قال لهم نبيهّم: ﴿ **أئنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾ [النّمل: ٥٥]، ﴿ **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿ **أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ** ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]. وصفهم بالجهل، وصفهم بالإسراف، وصفهم بالعدون، وصفهم بالإفساد: ﴿ **قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وصفهم بالإجرام، وصفهم بكلّ رذيلة وبكلّ نقيصة. لأنهم عاندوا فطرة الله، وأرادوا الاستغناء بالذكور عن الإناث. وهو شذوذ عن الفطرة والحق والدين.

ومن هنا عاقب الله قوم لوط عقوبتين:

العقوبة الأولى: أنّه قلب قريتهم عليهم، وجعل عاليها سافلها.

والعقوبة الثانية: أنّه أمطر عليهم حجارة من سجيّل منضود، مسوّمة عند ربك، كل حجر يقصد واحداً معيّناً وهدفاً محدّداً، يأتيه فيصيبه، وما هى من الظالمين ببعيد(١).

الاستغناء عن الأسرة:

الاعتبار الثالث: أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الأسرة هى الأساس لحياة المجتمع الإنسانى. لابدّ أن يتربى الطفل فى ظلّ أسرة.. فى ظلّ أبوة وأمومة، لابدّ للإنسان أن يعيش فى بيت يحنو عليه ويرعاه.

الطفولة الإنسانية أطول أنواع الطفولة فى الحيوانات، لا يوجد حيوان

---

(١) قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ** ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

تستمر طفولته عدّة سنوات كما فى الطفل البشرى، فمن يرعى هذا الطفل فى أثناء هذه السنين؟ لابدّ من أمّ ترعاه، وأب يحنو عليه، وأخوة يتعامل معهم. ومن خلال هذا التعامل تتربى مشاعر الحنوّ والحب والعطف والحنان والإيثار والتعاون. كلّ هذه تنمو فى ظلّ هذا التعامل المستمر اليومى.

من الذى يرعى هذا الطفل إذا لم يكن له أب ولم يكن له أمّ؟

الآن يفكرون فى عمل رحم صناعى توضع فيه هذه الخليّة، ويحاولون أن يستعنوا عن رحم المرأة نهائياً. وطبعاً يرحّب بهذا الموسرات والممثّلات والمطربات حفظاً على الرشاقة، وهذا خطر كلّ الخطر.

أين الأمومة؟ الأمومة هى المعاناة وليس مجرّد أن تعطى بِذْرة أو بييضة لهذا الرحم الصناعى. الأمومة أن تعايش المرأة جنينها فى بطنها تسعة أشهر. الله تعالى حينما أمر بالإحسان بالوالدين قال: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا..** ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال فى آية أخرى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ..** ﴾ [لقمان: ١٤]، هذه هى الأمومة، الأمومة الحقيقية هى هذه المعايشة لهذا الطفل، وتحمّل آلامه.

وحينما جاءت إحدى النساء المطلقات تشكو إلى النبى ﷺ أنّ زوجها يريد أن يأخذ طفلها منها قالت: يا رسول الله، إنّ ابنى هذا كان بطنى له وعاءً، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإنّ أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه منّى: فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحقُّ به ما لم تنكحى»(١).

ماذا تقول المرأة التى لم يكن بطنها لطفلها وعاء، ولا ثديها له سقاء، ولا حجرها له حواء؟ إنّها لم تتولّ إرضاعه، ولم تحمل حتى يكون لها لبن، أين الأمومة إذن؟

---

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، وإسناده حسن (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٩/٣٣٣ برقم ٢٣٩٩).

OBEIKAN.COM

من أجل هذا جعل الإسلام – وجعلت الأديان كلّها – الزواج أساس الأسرة، وهؤلاء يلغون الزواج من حياة الإنسان. وبهذا يصبح الناس حيوانات، لم يعودوا أناسيّ، لم يعودوا بشراً تحكمهم شرائع وتحكمهم قيم.

هذا كلّه إفساد وتدمير للحياة.

الحياة لابدّ لها من أسرة، ولابدّ لها من زوجين أو أبوين، ولابدّ أن ينشأ الطفل فى ظلال هذه الأسرة، وفى رحابها، ويتعلم منها «كلّكم راع ومسؤول عن رعيّته.... والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيّته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...»[1]. فإذا تركنا الحبل على الغارب لهذه الأمور فسدت الحياة، واضطرب نظام هذا الكون.

ومن أجل هذا كلّه نقف ضدّ هذا التوجه الخطير الذى يسعى إليه بعض العلماء. وكثير من العلماء أنفسهم – من أهل العلم الأحيائى البيولوجى – يقفون ضدّ هذه التوجهات..

نرحب بالعلم المنضبط :

نحن لا نقف فى وجه العلم، بل نرحب به وندعو إليه، ولن تتقدم أمّتنا إلا بالعلم، ولكننا ضد العلم المنفلت المدمرّ، لذا نحن نقول: إنّه إذا كان يمكن أن نستفيد من هذه التوجيهات العلمية فى مجال الهندسة الوراثية، فى علاج بعض الأمراض المستعصية، وبعض الأمراض الوراثيّة، التى يرثها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد، وإذا استطعنا أن نعالج بعض أسباب العقم الذى يشكو منه الكثير، فلا مانع من ذلك، فحيث توجد المصلحة هنا فثم شرع الله. ولكن بشرط: أن لا يكون ذلك فتحاً لباب خطر على البشر. إذا خفنا – خوفا

---

(١) قطعة من حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى رواه البخارى ومسلم، ونصّه كاملاً: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيّده ومسؤول عن رعيّته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيّته» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٥٣ برقم ١١٠٨).

مبنيا على دراسة – إنه إذا فتح هذا الباب فلن يُسدّ، فالأولى بنا أن نسدّه من أول الأمر.

عندنا فى الشرع قاعدة تسمّى (قاعدة سدّ الذرائع) أى: لو أنّ هناك أمراً مباحاً، ولكنه إذا فُتح الباب له سيؤدى إلى أمور منكرة ومفاسد للناس، فإنّه يمنع هذا الأمر المباح، سدّاً للذريعة إلى الفساد، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...** ﴾ [الأنعام: ١٠٨] لا تسبوا الأصنام أمام المشركين فيسبوا الله سبحانه وتعالى، مع أنّ الأصنام لا حرمة لها وسبّها لا حرج فيه، ولكن إذا تسبب هذا الأمر فى سبّ الله عزّ وجلّ، فينبغى أن نترك هذا الأمر خشية من عواقبه ونتائجه.

إذا كان فتح الباب لهذا الأمر سيجلب علينا شراً لا يعلمه إلاّ الله، وسنكون أمام مخاطر قد نعرف أوّلها ولا نعرف آخرها، فلا بدّ أن نأخذ بالحزم ونسدّ هذا الباب، كما قيل (الباب الذى يأتيك منه ريح يجب أن تسدّه وتستريح).

إنّنا أمام أمر خطر، نحن لا نعرف كلّ ما يمكن أن يتمخّض عنه هذا الأمر، نحن ذكرنا بعض أشياء وهى مؤشّرات، ولكن لا نستطيع أن نتكهّن بما يمكن أن يأتى به هذا الأمر لو فتح الباب على مصراعيه، إنّه قد يودى بالبشريّة وقد يدمّرها، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **.. حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [يونس: ٢٤].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يسدّد خطانا، وأن ينير طريقنا، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يوفّق العلماء إلى ما هو خير للإنسان وللحياة وللأحياء، إنّه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

OBEIKAN.COM

• الخطبة الثانية :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

لا نستطيع أن نُصمّ آذاننا، ولا أن نغمض أعيننا، ولا أن نغلق عقولنا، عمّا يجرى فى القدس الشريف.

القدس العربية الإسلامية مهدّدة بالزوال، على مرأى ومسمع منّا نحن العرب والمسلمين، حكومة (نتنياهو) قررّت أمراً، وهى تنفذه ولا تُبالى باستنكار المستنكرين ولا باحتجاج المحتجين. ونتنياهو هو كمن كان قبله بل شرّ منه، ولكن ليس فى الشرّ خيار، كلهم أشرار.

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

رابين منذ اليوم الأوّل – يوم الاتفاق فى أوسلو – أعلنها صريحة: أنّ القدس هى العاصمة التاريخية والأبدية والموحّدة لشعب إسرائيل.

هذا ما قاله (رابين)، وما قاله (بيريز)، وما يقوله (نتنياهو) ويزيد عليهم: أنّه يتحدى ولا يبالى بأحد.

القدس تتعرّض لمخطّط استيطانى يهودى، وهى خطة ليست بنت اليوم ولا وليدة الأمس. إن اليهود قد خططوا لذلك من قديم، منذ القرن الثامن عشر، حاولوا أن يتسللوا إلى فلسطين وإلى القدس.

سيدنا عمر – رضى الله عنه – حينما دخل القدس وصالح أهلها من المسيحيين، اشترطوا عليه أن لا يساكنهم فيها يهود. ولا ندرى منذ متى بدأ التسلل اليهودى لدخول هذه المدينة، ولكنهم فى القرن التاسع عشر حاولوا الضغط على الدولة العثمانية – عندما بدأ يصيبها الضعف شيئا فشيئا – لتسمح لهم بإقامة بعض المؤسسات ومن خلال هذه المؤسسات خدعوا العرب والمسلمين، وطالبوا بإنشاء مستشفى، وجعلوا فى داخل هذا المستشفى وحوله مساكن.

OBEIKAN.COM

ولكن فى آخر القرن التاسع عشر كان سكان مدينة القدس حوالى خمس وأربعين ألف نسمة، وكان اليهود لا يزيدون على ثلاثة آلاف أو أكثر قليلا، ثم بدأوا يخططون للزيادة شيئا فشيئا، ففى سنة (١٩١٨م) – أى بعد أن دخل الجنرال اللنبى القائد البريطانى القدس – أصبحوا عشرة آلاف، وبدأ التدفق فى الهجرات، وبدأوا يعدون العدة، ويهيئون الخطة، لتهويد هذه المدينة، خطوة خطوةً وشبراً شبرا.

بعض الناس يظن أن العرب باعوا أرضهم لليهود، وهذا ليس بصحيح، الذين فعلوا ذلك كانوا قلة، وكان معظمهم من غير المسلمين، ولكن البلدية التى يحكمها البريطانيون استولت على أراضٍ أميرية، واستولت على أراضى الوقف الإسلامى، ومعظم أراضى القدس أراضى وقفية، وسلمتها لليهود.

وحين قامت دولة الكيان الصهيونى (إسرائيل) سنة ١٩٤٨، ودخلت الجيوش العربية السبعة، ودخل الجيش الأردنى القدس، وقسمت المدينة إلى قسمين: شرقية قديمة فيها المقدسات، وغربية حديثة سكانها من المستوطنين اليهود، وكان بينهما حاجز أو سلك شائك.

وهكذا استمر الأمر عاما بعد عام، ومدة بعد مدة، وهم يغيرون الخطط والهياكل لتهويد المدينة، وفى كل مدة يستولون على جزء من القدس، وعلى القرى القريبة من القدس، ويضعون خططا بعيدة المدى، ونحن فى غفلة لاهون، وفى غمرة ساهون. إلى أن حدثت حرب (١٩٦٧م) – النكبة الثانية – حيث استولوا على القدس الأصلية، وبدأ التخطيط لتهويد القدس الشرقية نفسها، التى فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومسجد عمر بن الخطاب وكنيسة القيامة، حتى هذه يهيئون الأسباب الآن لإقامة اليهود واستيطانهم فيها، رغم هذا الاتفاق الذى زعموه (اتفاق السلام)، والذى عارضناه من أول يوم لأنه أجَّل القضايا الخطيرة:

١ – قضية القدس: كأن هذه القضية قضية لا تستحق أن تكون القضية رقم (١) فى جدول الأعمال.

OBEIKAN.COM

٢ – قضية اللاجئين المشردين فى آفاق الأرض – وهم نحو خمسة ملايين – وحقهم فى العودة إلى ديارهم.

٣ – قضية الحدود، وأين تقف حدود إسرائيل.

٤ – قضية المستوطنات والمستوطنين اليهود.

كيف تؤجل هذه القضايا الكبرى؟!

ولهذا فإن اليهود ينفذون مخططاتهم، ولا يبالون باحتجاج محتج ولا بصراخ صارخ.

تحكم السيف فاسكت أيها القلم تكلّم الذئب فاخضع أيها الحمَل

هكذا، هذا هو الذى يجرى الآن:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

نحن نرى ما يحدث ولا نفعل شيئا، حتى مجرد الصراخ لا نصرخ!

لابد أن نعمل شيئا.

لماذا لا تعقد قمة عربية مكبرة مستوعبة؟

بل لماذا لا تعقد قمة إسلامية؟ الأمر جد خطير ومهم.

حينما أحرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م تنادى المسلمون، وكان المؤتمر الإسلامى الأول أيام الملك فيصل رحمه الله، وأقيمت منظمة المؤتمر الإسلامى.

الآن المدينة كلها ستضيع، اليهود يستولون على الأرض، ويبنون المستوطنات، ويحفرون تحت المسجد، وقد صنعوا النفق وقتل من قتل فيه.

لماذا لا تعقد هذه القمة؟

لماذا لا يتنادى الناس فى كل مكان؟

لابد أن يتحدث الخطباء، لابد أن يكتب الكُتَّاب، لابد أن يبدع الشعراء،

OBEIKAN.COM

لابد أن تسير المسيرات، لابد أن تعقد الجمعيات اجتماعاتها، لابد أن نعمل شيئا. كيف نسكت على ما يجرى؟ إن ما يجرى والله لأمر خطير.

المسجد الأقصى يضيع بين أيدينا ونحن صامتون متفرجون،

أين هذه الأمة؟ أمة المسلمين.

أمة اليهود تقول وتفعل وتنفذ، ويقول (نتنياهو) : نحن نقرر والفلسطينيون ينفذون ! بل وصل التبجح بهم إلى أن هددوا رئيس السلطة الفلسطينية نفسه بالطرد من فلسطين، ليعيش هائما كما قالوا – بين تونس وبغداد. .بل هددوه بالاغتيال وقالوا: إن عرفات ليس دمه مضمونا، كما أن المهندس ليس دمه مضمونا. أى: كما قتل يحى عياش – رحمه الله – يمكن أن يقتل ياسر عرفات.

إنهم يهددون ولا أحد يهددهم بشئ.

أين أمة الإسلام؟

نحن نحيّى كل الصامدين فى وجه هذا العدوان: نحيّى سوريا على موقفها الصامد، ورفضها أن تركع لإسرائيل، نحيّى لبنان، ونحيّى تأييده للمقاومة، نحيّى شباب (حماس) فى داخل فلسطين المحتلة، نحيّى شباب (الجهاد)، نحيّى كل من يصمد ويقول: لا.

بعض الناس.. يقول لك: ليس أمامنا شئ ولا فى أيدينا شئ فماذا نفعل؟

نحن نستطيع أن تقول: لا (بملء فينا) [1]، يكفى أن نقف رافضين مقاومين معاندين، لا نستسلم، ولا ندعو إلى السلم، كما قال الله تعالى ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾

[محمد: ٣٥]

جزى الله (دولة قطر) خيراً حيث أقامت أسبوعا للقدس، يبدأ فى الأسبوع

(١) وحينما قلنا: (نعم، الأرض مقابل السلام) ماذا أخذنا؟! (القرضاوى).

OBEIKAN.COM

القادم، نتنادى فيه، ويصرخ كل منا على أخيه أن هبوا للدفاع عن قدسكم.. عن مسجدكم الأقصى.. عن حرماتكم.

لابدأن نقف وقفة الرجال الذين لا يقبلون الهوان، ولا يرضون الذل لأنفسهم، ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾

[المنافقون:٨]

إن الأمر خطير وخطير جدا، ولا يمكن أن نسكت على هذا، لابد أن نعلن رأينا.. أن نعلن موقفنا.. أن نحدد (من نحن)؟

نحن لسنا قطيعا من الأغنام يسوقنا اليهود كما يريدون. لا، نحن خير أمة، نحن الأمة (الوسط) التى جعلها الله شهداء على الناس. ولكننا نحتاج إلى القادة، الذين يستطيعون أن يتماسكوا، وأن يقفوا على أرض صلبة.

نسأل الله عز وجل إن يؤيد خطى المجاهدين، وأن يسدد العاملين، وأن يأخذ الظالمين المعتدين، إن أخذه أليم شديد.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم عليك باليهود الغادرين المعتدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأذل دولتهم. اللهم إنا ندرأ بك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأنزل عليهم بأسك الذى لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين فى سبيلك، اللهم أيدهم بملأ من جندك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٧].

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٥].

OBEIKAN.COM

٦ - فوائد البنوك هى الربا الحرام[١]

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

جاء الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً كاملا للحياة: حياة الفرد وحياة الأسرة وحياة الجماعة وحياة الأمة.. بل جاء ليهدى الإنسانية كلها إلى التى هى أقوم ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان: ١] ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

جاء الإسلام رسالة شاملة، وجاء منهاجا متكاملا للحياة، يقيم الحياة على أقوى الدعائم وأرسخ الركائز، حتى ينتشر فيها الحق والعدل والرحمة والإحسان بين الناس، بل هذا هو هدف الرسالات السماوية كلها، كما قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد: ٢٥] والقسط هو العدل، والله يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين، ولا يهدى القوم الظالمين.

فى هذا الإطار جاء الإسلام بأصول وأحكام تنظم الحياة الاقتصادية للناس، فالمال مال الله والإنسان مستخلف فيه، أى أمين على هذا المال، ونائب عن الله تعالى فى تنميته، وفى الاستمتاع به، وفى الانفاق منه، ليس حر التصرف يفعل ما يشاء، إنه مقيد بتوجيهات المالك الأصلى للمال وهو (الله) يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾ [الحديد: ٧].

أنت أيها الإنسان فى مالك مستخلف فى مال الله، هذا مال الله عندك،

---

(١) للشيخ القرضاوى - حفظه الله - كتاب بهذا العنوان أصدره ردا على فتوى الدكتور محمد سيد طنطاوى بشأن فوائد البنوك وشهادات الاستثمار يوم كان مفتيا للجمهورية.

وقد تجلت فى هذا الكتاب: دقة الفقيه، وأصالة المفكر، وروح الداعية، فجزاه الله خيرا ونفع المسلمين بما كتب.

OBEIKAN.COM

وأنت مستخلف فيه، أى موظف عند صاحب المال الأصلى وهو الله تبارك وتعالى.

جاء الإسلام بأحكام كثيرة تنظم المال، ومن أهم هذه الأحكام حكمان أساسيان:

- حكم يتعلق بجانب الأوامر.
- وحكم يتعلق بجانب النواهى.

أما الحكم الأول فهو إيتاء الزكاة، هذا فى قمة الأوامر الإسلامية، ركن من أركان الإسلام، ودعامة من دعائمه الخمس، التى بنى الإسلام عليها، كما فى الحديث الصحيح المشهور (١)، هى الدعامة الثالثة، بعد الشهادتين وبعد إقام الصلاة: إيتاء الزكاة.

هذا فى جانب الأوامر.

وفى جانب النواهى والمحرمات جاء تحريم الربا، فهو من الموبقات السبع كما سماها النبى ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» (٢).

وعدَّ منها: أكل الربا وأكل مال اليتيم. فهذا من المهلكات، هى مهلكات للفرد ومهلكات للجماعة، مهلكات فى الدنيا ومهلكات فى الآخرة.

وقد لعن النبى ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه» (٣)

---

(١) الذى رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» (فيض القدير للمناوى: ٣/ ٢٠٨ برقم ٣١٦٢).

(٢) وتتمة الحديث: «.. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق على صحته من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش: ١/ ٨٦ برقم ٤٥).

(٣) رواه مسلم وغيره، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وفى آخره: «وقال: هم سواء» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٣٤ برقم ١٠٥٦).

OBEIKAN.COM

فلسفة الإسلام أنه إذا حرم شيئا حرم كل ما يفضى إليه وكل ما يعين عليه، ليحاصر المنكر والمحرم فى أضيق دائرة ممكنة .

من أجل هذا لعن فى الخمر عشرة [1]، ومن أجل هذا لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه .

آكل الربا : هو الذى يأخذ الفائدة . . المرابى .

ومؤكله : هو الذى يعطى الفائدة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذا الأمر أبلغ التأكيد فى آيات من سورة البقرة تعتبر من أواخر ما نزل من القرآن [2] . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا** ﴾ [البقرة: ٢٧٥] هكذا قال الممارون والمجادلون بالباطل من أهل الجاهلية، سواء كانوا من المشركين أم من اليهود الذين كانوا يتعاملون بالربا، وهم أساتذة الربا فى العالم من قديم، حرموا الربا فيما بين بعضهم وبعض، لا يجوز للإسرائيلى أن يعطى جاره الإسرائيلى بربا، ولكن لغير الإسرائيلى يحل له أخذ الربا . هؤلاء أثاروا تلك الشبهة وقالوا : ما الفرق بين البيع والربا؟ أنت بالبيع تأخذ وتعطى، وتكسب ربحا، وفى الربا تأخذ وتعطى وتكسب فائدة، ما الفرق بين هذا وذاك؟ حتى إنهم جعلوا الربا أصلا، لم يقولوا : الربا مثل البيع بل قالوا : إنما البيع مثل الربا!

وجاء الرد الإلهى القرآنى حاسما قاطعا كحد السيف، قال : ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [البقرة ٢٧٥] والله لا يحل إلا طيبا، ولا يحرم إلا خبيثًا . فلا

---

(١) فى الحديث الذى رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما : « لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها » ورواه ابن ماجة عن أنس، قال المنذرى :
ورواته ثقات (فيض القدير للمناوى : ٥ / ٢٦٧ – ٢٦٨ برقم ٧٢٥٣) .
وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٦٥٢ برقم ١٤٠٠، ١٤٠١) .

(٢) انظر الآيات : ٢٧٥ – ٢٨١ .

كلام لمتكلم، ولا تأويل لمتأول، ولا تمحل لمتمحل ﴿ **فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة:٢٧٥].

﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** ﴾ [البقرة:٢٧٦] يمحو البركة منه، حتى وإن كثر « الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل » (١) وكم رأينا من المرابين والمتعاملين بالربا من زاد ماله وزاد، ثم أخذه الله عز وجل. الربا في ظاهره زيادة ولكنها زيادة ممحوقة لا بركة فيها، كثيرا ما تؤثر عليك في نفسك. . في صحتك. . في أهلك. . في أولادك الذين يتربون من مال الربا، فلا يبارك الله تعالى فيهم. ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [الروم:٣٩] ، الربا زيادة في الظاهر ونقص في الباطن، والزكاة والصدقة نقص في الظاهر وزيادة في الباطن ﴿ **أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ يضاعف الله أموالهم، ويضاعف لهم أجرهم بعد ذلك.

﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وهذا إشارة إلى المرابي، فهو مبالغ في الكفر مبالغ في الإثم.

ثم يقول الله تبارك وتعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة ٢٧٨] كل ما بقي من الربا من عهد الجاهلية ، قل أو كثر.

﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [البقرة:٢٧٩] هي حرب قدرية وحرب شرعية، ولا يمكن أن ينتصر من يحارب الله ورسوله، إن الله سيغلبه، من حارب الله ورسوله هو المغلوب وهو المهزوم.

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود وصححه وأقره الذهبي ورواه عنه أيضا البزار، ورمز له السيوطي بالصحة (فيض القدير للمناوي: ٤ / ٥٠ برقم ٤٥٠٥) وروى ابن ماجه عن ابن مسعود:« ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قل » (كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني: ١ / ٤٢٢ – ٤٢٣ برقم ١٣٥٤) . والمراد من قوله « إلى قُلّ »: أنه يؤول إلى نقص ومحق آجلا بما يفتح على المرابي من المغارم والمهالك. وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٥٣٥ برقم ١٠٦٣).

﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ لم يجئ فى معصية من المعاصى ولا فى كبيرة من الكبائر ما جاء فى الربا، لم يجئ فى الزنى ولا فى شرب الخمر ما جاء فى هذا الأمر.

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩]: وهذا إشارة إلى أن ما زاد على رأس المال بغير عوض مقابل الأجل وحده – لا بيع ولا شراء ولا تجارة – فهو ظلم وهو ربا.

يقول بعض الناس: كيف يكون الربا ظلما وأنا آخذه برضاى؟! أنا متفق مع البنك أن آخذ المائة وأردها إليه مائة وعشرة، آخذ الألف وأردها إليه ألفا ومائة. فلماذا يكون هذا ظلما؟! ونقول لهؤلاء: و هل يتصور فى الربا إلا أن يكون بالتراضى؟! هل كان الربا فى وقت من الأوقات بالقهر؟ الناس كانوا يذهبون إلى المرابى، ويكادون يقبلون يده أو رجله ليعطيهم، وكان كثيرا ما يتدلل المرابى عليهم، يريدون منه ألفا ويعطيهم خمسمائة أو سبعمائة.

الربا دائما بالتراضى، ولكن التراضى لا يحل الحرام. أإذا زنى رجل بأمرأة بتراضيهما أيكون ذلك حلالا؟! التراضى لا يحل الحرام، ولا يجعل المنكر معروفا، إنه تراض على الباطل.

إن الإسلام حرم الربا لحكم كثيرة. من هذه الحكم التى أكتفى بالنص عليها الآن:

أن المال فى نظر الإسلام لا يزيد ولا ينمو وحده ، النقود لا تلد نقودا، والمال بطبيعته لا يلد المال، إنما المال يزيد بالعمل، الألف وحدها لا تصبح ألفا ومائتين، والمائة لا تصبح مائة وعشرين ما الذى يجعل المائة مائة وعشرين، والألف ألفاً ومائتين؟ العمل، أن تعمل فتزيد المال.

ولكن ليس كل الناس قادرا على العمل، أنا مدرس وأعمل بالتدريس وقد أدخر شيئا من المال، فماذا أفعل فى هذا المال؟ إذا لم تستطع أن تعمل فما الحل؟ هنا يجوز لك أن تعطى غيرك المال ليتجر لك به، أو ليعمل به مشروعا، وبذلك تكونان شريكين: أنت بمالك وهو بجهده وخبرته، وبهذا يتعاون رأس المال والعمل معاً.

OBEIKAN.COM

ولكن هنا يقول الإسلام لك: ما دمت قد شاركت هذا الآخر الذى نسميه (المضارب) وأنت (رب المال)- فكن شجاعا، وكن على خلق، وتحمل مسؤولية المشاركة. لقد صرتما شريكين، ومقتضى المشاركة أن تتحملا المسؤولية معا، فإذا ربحتما ربحتما معا، وإذا خسرتما خسرتما معا.

إذا ربحتما كثيرا نال كل واحد منكما من هذا الكثير بالنسبة المتفق عليها حسب ما تتفقان: أنت $\frac{١}{٤}$ وهو $\frac{٣}{٤}$، أنت النصف وهو النصف أنت ٩٠٪ وهو ١٠٪، فالربح بينكما على ما اتفقتما عليه.

والخسارة على رأس المال، إذا خسرت الشركة بدون تقصير ولا تعّ من المضارب، إذا ثبت أنه قصر أو تعدى فهو الذى يتحمل الخسارة، أما إذا كانت هناك أقدار قاهرة، وأشياء لم تكن فى الحسبان، وأدت إلى خسارة رأس المال - فهنا يخسر صاحب المال ماله أو جزءاً من ماله، ويخسر الآخر جهده. ما بذل من جهد طوال العام قد خسره، وليس المال أهم من جهد الإنسان.

هذا هو مقتضى العدل المحكم الذى جاء به الإسلام.

مقتضى ما جاء به الإسلام، أن تتحملا الغرم والغنم معاً، أن تتحملا الربح والخسارة معاً.

أما أن تحدد الربح من الأصل وتقول: أنا آخذ المال منك، وأعطيك فى كل سنة عن المائة (عشرة) أو عن المائة (عشرين) فهذا لا يجوز. ما يدريك أنك ستكسب؟ قد تظن أنك تكسب ولكنك تخسر، هذه ليست العدالة المنشودة.

العدالة المحكمة التى جاء بها الإسلام: أن تتحملا الغرم والغنم معا، وهذا بإجماع العلماء.

فى المضاربة: (لا يجوز تحديد شئ لأحد الطرفين دون الآخر) لابد أن يدخلا على نسبة مشاعة، هذا بالإجماع.

وهذا الإجماع له سند من النصوص، ففى مزارعة الأرض نهى النبى ﷺ أن

OBEIKAN.COM

يشترط لأحد الطرفين ثمرة أرض معينة أو قطعة أرض معينة، قنطار أو إردب معين أو نحو ذلك [1] ما يدريه قد يسلم هذا أو يتلف ذلك، وقد تثمر تلك القطعة من الأرض دون غيرها، وقد يحدث عكس هذا، فيكون لأحد الطرفين غنم لا يشاركه فيه الآخر، أو يكون عليه غرم لا يشاركه فيه الآخر.

فهذا هو الأصل النصى لمنع اشتراط شئ لأحدهما فى المزارعة، والمزارعة كما قال الإمام ابن قدامة – مضاربة فى المعنى، نعم المزارعة مضاربة فى الأرض، والمضاربة مزارعة فى المال، الذين يريدون للمال أن يكسب ولا يخسر، وأنَ يزيد ولا ينقص، هؤلاء يريدون الخروج على سنة الله فى الكون كله. ليس هناك شئ فى هذا العالم غير قابل للنقص، كلَ شئ..كل نعمة قابلة لأن تنقص وأن تذهب، الصحة قابلة للمرض، الصحيح قد يمرض، الشباب قابل للشيخوخة، الشاب تعتريه الشيخوخة، القوى تطرأ عليه ظروف الضعف، الحى قد يأتيه الموت فى أى لحظة. فهل المال أهم وأغلى من الحياة.. من الصحة.. من الشباب.. من القوة؟؟

لماذا يراد للمال أن يظل كما هو ولا ينقص أبدا؟ لماذا يراد للمائة أن لا تنقص؟ تصبح مائة وعشرة أو مائة وخمس عشرة، أما أن تكون أقل، فلا، لم هذا؟ هذا خروج عن سنة الحياة.. عن فطرة الكون. فهؤلاء المرابون خارجون عن الفطرة، خارجون عن الدين.

ولهذا فإن الربا أمر لاشك فى تحريمه، وهذا ما سار عليه المسلمون طوال ثلاثة عشر قرنا، منذ بعث الله محمداً ﷺ، وأقر فى الناس الحق، وأقام العدل،

---

(١) عن رافع بن خديج قال: «كنا أكثر الأنصار حقلا، فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه فربما أخرجت هذه، ولم تخرج هذه، فنهانا عن ذلك..» أخرجه البخارى ومسلم. وفى لفظ: «كنا أكثر أهل الأرض مزروعا كنا نكرى الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض قال: فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك، فنهينا...» رواه البخارى. انظر: (نيل الأوطار للشوكانى: ٦/ ١١): (باب فساد العقد إذا شرط أحدهما لنفسه البقعة أوبقعة بعينها ونحوه).

وجاء بعده الراشدون، وجاءت بعده الدول المختلفة، منهم من استقام على الإسلام، ومنهم من انحرف عنه، ولكن بقيت هناك أشياء قطعية لا مجال لجدال فيها، من هذه الأشياء: تحريم الربا.

لم تجئ دولة من دول الإسلام طوال التاريخ: لا فى العهد الأموى، ولا فى العهد العباسى، ولا فى عصر المماليك، ولا فى العهد العثمانى، ولا فى أى عصر من العصور، لتقول بإباحة الربا، أو إباحة شرب الخمر، أو إباحة الزنى، لم يحدث هذا، هذه أمور مقطوع بها فى دين الله.

لم يعرف المسلمون إباحة الربا إلا فى عصر الاستعمار. عندما جاءنا الاستعمار الغربى وأجلب علينا. بخيله ورجله، واحتل ديارنا، وأصبح هو المتحكم فى رقابنا، وهو الذى يسوس تعليمنا، ويسوس اقتصادنا، ويسوس كل أمورنا، وأصبح التشريع فى يده، وأصبح القانون فى يده، وأصبح الاقتصاد فى يده، وأصبحت الثقافة فى يده، فأصبح يكيف حياتنا وفقا لفلسفته هو، لا لفلسفتنا نحن، فأحل ما حرم الله، وحرم ما أحل، وأسقط ما أوجب الله، وشرع ما لم يأذن به الله.

ومن أجل هذا عرفت المجتمعات الإسلامية لأول مرة حل (الربا) وقامت البنوك الحديثة هذه، وهى جزء من أجزاء المجتمع الرأسمالى، الرأسمالية الغربية لها أدوات، ومن أهم هذه الأدوات: البنوك. إن الرأسمالية تقوم على ساقين: الاحتكار، والربا. والربا يتمثل فى هذه البنوك.

ما هى مهمة البنوك؟

مهمة البنوك أن تستقرض بالربا وتقرض بالربا. يعنى: أنت عندك فائض من الأموال، فتذهب وتعطى البنك وديعة ربوية، تعطيه (المائة) فيعطيك (عشرة) على المائة، فإذا ذهبت وأنت محتاج لتستقرض من البنك فيعطيك بخمسة عشر أو بثلاثة عشر، والفرق بين النسبتين، هو ربح هذا البنك.

هذا هو البنك، عمله الأساسى المتاجرة فى الربا، ليس عمله الأساسى أن يصنع ويزرع ويستثمر، وليس هذا هو عمل البنك التجارى التقليدى.

OBEIKAN.COM

الذين يقولون: إن البنك يستثمر أموال الناس، يضللون الناس. هذا ليس عمل البنك، البنك عمله (دائن ومدين). حتى الكشف الذى يأتى الإنسان من البنك قائم على هذا الأساس (دائن ومدين)، ليس هناك عمل لهذا البنك فى أمور استثمارية، لا. فهذا البنك هو المرابى الأكبر، هو سمسار الربا الأعظم، يأخذ الأموال بفوائد، ويعطيها بفوائد أكثر، ويربح من هذا الفرق.

هذه الفوائد التى تأخذها البنوك، أجمع المسلمون أنها هى الربا المحرم شرعا،لم يقل بذلك عالم أو اثنان أو ثلاثة، وإنما قالت ذلك مجامع فقهية قائمة على الاجتهاد الجماعى، وأول مجمع صرح بذلك وقرره بوضوح هو (مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر)، وذلك فى سنة (١٩٦٥م). كان مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الشيخ حسن مأمون العالم الكبير المعروف رحمه الله، وكان فيه ممثلون لخمس وثلاثين دولة إسلامية، وفيه من فطاحل العلماء المعروفين أمثال: الشيخ محمد أبو زهرة.. الشيخ فرج السنهورى.. الشيخ على الخفيف.. الشيخ محمد السايس.. الدكتور محمد البهى.. الشيخ نديم الجسر، وغيرهم وغيرهم من علماء العالم الإسلامى أجمع هؤلاء بصريح العبارة: أن فؤائد البنوك هى الربا الحرام، وعلى البلاد الإسلامية أن تحاول إقامة بدائل عن هذه البنوك.

ثم جاء المجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى بمكة، وأكد ما قرره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

ثم جاء مجمع الفقه الإسلامى المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى وأكد ما قرره المجمعان السابقان.

وجاء المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة سنة (١٩٧٦م)، وكان فيه أكثر من ثلاثمائة عالم جاؤوا من أنحاء العالم ما بين علماء شريعة وعلماء اقتصاد وعلماء محاسبة، وقرروا بالإجماع أن الفوائد هى (الربا الحرام).

وأشهد أنى حضرت هذا المؤتمر، وكان رجال الاقتصاد أشد حماسا لتحريم الربا من رجال الفقة.

OBEIKAN.COM

وجاء المؤتمر العالمى الأول للفقة الإسلامى المنعقد فى الرياض ومؤتمر الدعوة المنعقد بالمدينة المنورة، ومؤتمرات المصارف الإسلامية التى انعقدت فى دبى، وفى الكويت، وفى القاهرة، وفى استانبول ، وفى غيرها من البلاد، كلها تؤكد أن الفوائد هى (الربا الحرام) .

هذا أمر لم يعد هناك خلاف فيه .

وقلنا : الحمد لله استراح المسلمون، وأغلقوا هذا الملف . . ملف الفوائد والربا .

كنا فى أوائل هذا القرن، حينما ابتلينا بالهجمة الاستعمارية الغربية، التى أحلت الحرام، وجعلت المنكر معروفا، حدث هناك خلاف بين بعض العلماء :

فى فترة من الفترات قال من قال : يجب أن نسير وراء المجتمع الغربى نأخذ الحضارة الغربية، بخيرها وشرها وحلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ودعوا إلى ذلك بصراحة .

ثم جاء آخرون – وكانوا أهون من هؤلاء – وحاولوا أن يبرروا الواقع، وقالوا : نحن نحاول أن نبرر ما نستطيع تبريره من الحضارة الغربية . كان همهم تبرير الواقع لا محاولة التحرر من الواقع الدخيل عليهم . حاولوا أن يستسلموا للواقع وأن يبرروه، بماذا يبررونه؟ بتأويلات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، يحاولون بها أن يسندوا هذا الواقع الدخيل على الأمة، أرادوا أن يُلبسوا الخواجة الأوربى عمامة شيخ مسلم!

قالوا : إن ربا الجاهلية غير الربا الحاضر .

وربا الجاهلية هو نفسه (الربا الحاضر) . إنك تأخذ المال فى مقابلة الأجل، وليس هناك أى عمل ولا أى جهد، وهو الربا الموجود فى العالم كله، هذا هو الربا .

قال بعضهم : إن الربا المحرم هو ربا الاستهلاك وليس ربا الانتاج . ربا

OBEIKAN.COM

الاستهلاك : من يستدين منك أو يستقرض منك ليأكل أو يشرب أو يلبس، أما ربا الإنتاج: فهو الذى يريد أن يتاجر ويستثمر، قالوا: هذا لا دخل له بالربا!!

وهذا ليس بصحيح. الإسلام حينما جاء حرم الربا كله، سواء كان للتجارة أم كان للاستهلاك، وهل كان العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وهو ممن كان يرابى فى الجاهلية – إذا أتاه رجل يريد أن يأكل يقول له: لا أعطيك إلا إذا دفعت لى كذا؟! وهو الذى كان يسقى الحجيج كل الحجيج على حسابه.

وقال بعضهم: إن الربا المحرم هو ربا الأضعاف المضاعفة، الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً** ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وجميع المفسرين من جميع المدارس والمذاهب اتفقوا على أن هذا القيد لبيان الواقع. يعنى أنهم كانوا يأكلون الربا حتى يبلغ أضعافا مضاعفة (الربا المركب) فهذا هو الذى نهى عنه. لكن ليس معنى هذا أنه لا يحرم إلا الأضعاف المضاعفة، لأنه لوصح هذا لكان الربا لا يحرم إلا إذا كان ستمائة فى المائة (٦٠٠٪)! لأن كلمة (أضعاف) جمع، وأقله ثلاثة، فإذا ضاعفناها – ولو مرة واحدة – تصبح ستة أضعاف. فهل الربا لا يحرم إلا إذا كان ستة أضعاف؟ هل هذا معقول؟

فهؤلاء الذين حاولوا أن يبرروا الربا فى أوائل هذا القرن، سقطت كل شبهاتهم، ولم يبق منها شئ، واستطاع المسلمون أن يتحرروا من هذه العقد، وأن يجمعوا على تحريم الربا، سواء كان للاستهلاك أم للإنتاج، قليلا كان أم كثيرا.

الربا هو الربا، الإسلام إذا حرم شيئا حرم قليله وكثيره كما فى الخمر. يريد أن يفطم الناس عن الحرام، وأن يسد الباب إلى الحرام بالكلية.

فهذا ما جاء به الإسلام.

فى أول الأمر كانت هناك هذه التبريرات ، ثم جاءت بعد ذلك صحوة، وقام وعى إسلامى، وعاد كثيرون إلى الإسلام، وإلى كنوزه يكتشفونها ويعرفون أسرار هذه الشريعة. من هؤلاء من هم من رجال الفقه، ومنهم من هم من رجال

OBEIKAN.COM

الاقتصاد، ورجال القانون والمالية، فوقفوا وبينوا أخطار الربا وما وراءه، من أزمات.

حتى الغربيون أنفسهم قالوا: إن الربا وراء أزمات الكساد، وأزمات الاقتصاد فى العالم، ولا يمكن أن يتخلص العالم من هذا إلا إذا أصبحت الفائدة صفرا، ومعنى أن تصير (صفراً): تلغى.

جاء رجال من رجالات المسلمين، وكتبوا فى ذلك كتابات رائعة: الدكتور محمد عبد الله العربى أستاذ المالية بجامعة القاهرة، الدكتور عيسى عبده إبراهيم أستاذ المحاسبة، الدكتور محمود أبو السعود أستاذ الاقتصاد، الدكتور أحمد التجار..... وكثيرون من رجال الاقتصاد.

ثم رجال الشريعة بعد ذلك كتبوا فى هذا الأمر وبينوا: لماذا حرم الله الربا؟ وأنه لابد للأمة أن ترفض الربا، حتى لا تأذن بحرب من الله ورسوله، ولا تصاب فى أنفسها وأبنائها وأموالها وحياتها كلها، فالنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» (١) ظهور الزنى دلالة على فساد الناحية الاجتماعية، وظهور الربا دلالة على فساد الناحية الاقتصادية، فإذا اجتمعت العلتان ضاعت الأمة «فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله».

وجاءت بعد ذلك مرحلة أخرى: هى مرحلة إيجاد البدائل. الناس قالوا: حرمتم علينا الربا ولكن ماذا نفعل؟ ألا يوجد بديل لهذا الأمر؟ وقال لهم أهل العلم: لا يوجد شئ حرمه الله إلا وفى الحلال ما يغنى عنه، لا يمكن أن يحرم الله على الناس شيئا يضطرون إليه، نستطيع أن نقيم بنوكا لا تتعامل بالفائدة.

قالوا: هذا مستحيل، الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفائدة الربوية عصب البنوك، فلا تحلموا ببنوك بلا فائدة.

ولكن هذا الحلم تحقق، وقامت البنوك الإسلامية، قام أول بنك فى العالم

---

(١) رواه الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب ٢/ ٥٣٥ برقم ١٠٦١).

الإسلامى فى (دبى) : بنك دبى الإسلامى . وقام بعد ذلك : بنك فيصل الإسلامى المصرى . . بنك فيصل الإسلامى السودانى . بيت التمويل الكويتى . . البنك الإسلامى الأردنى . . . إلخ .

واتسعت البنوك الإسلامية فى انحاء العالم الإسلامى وهنا فى قطر بنكان إسلاميان، وكان هذا أثرا من آثار الصحوة الإسلامية المعاصرة .

الصحوة المعاصرة كان لها آثارها فى الحياة كلها : آثارها فى التعليم، آثارها فى الفكر والثقافة، آثارها فى التشريع، آثارها فى الناحية الاقتصادية . وكان من أهم هذه الآثار فى الناحية الاقتصادية : ظهور البنوك الإسلامية التى لا تتعامل بالفائدة . وظهور بيوت الزكاة وصناديق الزكاة، وظهور مؤسسات مالية وشركات لا تتعامل بالربا .

وقلنا : الحمد لله، أصبح أمام المسلم فرصة ليجد البديل عن الحرام، حتى لا يطعم لقمة من حرام، ولا يدخل جيبه ولا رصيده فى البنك درهم من حرام ، ولا يطعم أولاده من حرام، ولا يربيهم من حرام . كان هذا من فضل الله تبارك وتعالى .

ثم وجدنا – للأسف من يفتح هذا الملف الذى أغلق، ويعود فيثير الشبهات القديمة التى فرغ العلماء منها ومن الرد عليها، ليقول : الفوائد حلال . بل أكثر من ذلك يهاجم البنوك الإسلامية، البنوك التى تقوم على أساس من شريعة الإسلام، وهى نعمة من الله تبارك وتعالى .

كيف تهاجم بنوكا قامت على أساس من أحكام الإسلام، واستقبلها المسلمون فى أنحاء العالم بالترحاب، ويشرف عليها علماء من أجلة العلماء فى العالم الإسلامى كله؟!

لا أدعى أن البنوك الإسلامية معصومة من الخطأ، لا، ليس هناك عصمة، هناك أخطاء فى البنوك الإسلامية، تقل فى بنك وتكثر فى بنك آخر، ومن أحسن البنوك الإسلامية : البنوك التى فى (قطر)، لأن فيها رقابة شرعية وتدقيقا شرعيا

OBEIKAN.COM

داخليا إلى حد كبير، وهناك بنوك أشد التزاما مثل: بنك (التقوى) فى (سويسرا).

هذه البنوك قامت على أساس من الإسلام، فكيف يأتى عالم مهما بلغ منصبه يهاجم هذه البنوك الإسلامية، ويطالب بإلغائها؟!

لقد خطونا خطوة إلى الأمام، وهو يريد منا أن نتأخر إلى الوراء؟!

البنوك الربوية نفسها أرادت أن تجارى هذه البنوك الإسلامية، وفتحت فروعا للمعاملات سموها (فرع المعاملات الإسلامية) فى البنوك الربوية. هم أنفسهم يعرفون أن بنوكهم ليست إسلامية، وهو يقول: لا، بنوككم إسلامية، رغما عنكم يا معشر البنكيين، ويا معشر المصرفيين!!

ويقول: إن من لا يحدد الربح أنا ضده!! لا يجوز أن لا نحدد الربح!! يحب أن نحدد الربح!! على خلاف ما أجمع عليه علماء الأمة طوال تاريخهم، أجمعوا على أن تحديد الربح لأحد الطرفين لا يجوز.

هذه فتنة أيها الإخوة – نسأ الله السلامة منها.

ولكن الذى أقوله: أنه ليس عندنا (بابوات)، ليس عندنا(بابا) معصوم: ما يحلّه فى الأرض فهو محلول فى السماء، وما يعقده فى الأرض فهو معقود فى السماء، كل عالم عندنا قابل للخطأ، كل أحد يؤخذ من كلامه ،ويترك إلا النبى ﷺ، وخصوصا إذا جاء هذا العالم معارضا لعلماء الأمة كافة.

هل يستطيع شيخ الأزهر أن يجمع مجمع البحوث الإسلامية بعلمائه من مختلف البلاد، وينظر فى هذه القضية، ويصدر رأيا باسم المجمع يلغى ما أصدره سنة (١٩٦٥م) من أكثر من ثلاثين عاما؟ هل يستطيع أن يلغى القرار السابق لمجمع البحوث بقرار جديد يقول فيه: إن فوائد البنوك حلال وليست كما قرر المجمع القديم؟

هل يستطيع هذا؟

نحن نقول: إن كل عالم يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله ﷺ، فهو الذى لا ينطق عن الهوى، وهوالمعصوم من كل خطأ.

إننا نأسف أشد الأسف أن يقع بعض علماء الأمة فى مثل هذا الأمر... فى مثل هذا الخطأ الجلل، فيحل مثل هذا الحرام الصريح وهذا المنكر الخبيث.

OBEIKAN.COM

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب على كل من انحرف عن الطريق القويم، وأن يهدى الضالين، وأن يردهم إلى الصراط المستقيم، إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا، واستغفر الله تعالى لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الأخوة المسلمون:

من أعظم ما يتقرب به المسلمون إلى الله: (تعليم القرآن وتعلمه) كما قال النبى ﷺ فيما رواه البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (١) .

ومن هنا ينبغى أن نحرص على تعليم أولادنا القرآن الكريم، أو ما تيسر منه على الأقل، وقد أحسنت وزارة الأوقاف فى أن فتحت كثيرا من المساجد لتعليم القرآن، وأقامت مراكز لتحفيظ القرآن الكريم، ومنها هذا المسجد (٢) .

فشجعوا أبناءكم على هذا الأمر،عسى أن يكون القرآن شفيعا لكم ولهم إن شاء الله يوم القيامة.

وهناك بعد الصلاة توزيع جوائز على الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم.

اللهم أكرمنا ولاتهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

---

(١) رواه البخارى والترمذى عن على رضى الله عنه، ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن عثمان رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى :٣ / ٤٩٩ برقم ٤١١١).

(٢) مسجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالدوحة.

OBEIKAN.COM

٧ - توضيح الحق فى فوائد البنوك [١]

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أكره الأشياء إلى نفسى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنى أكره التكرار، لا أحب أن أكرر نفسى، ولا أن أكرر غيرى، ولا أن أضيع الأوقات فى توضيح الواضحات، وتحصيل الحاصلات، ونشر النشارة، كما يقولون. وقديما قالوا: توضيح الواضحات من المشكلات.

الأمر الثانى: أنى أكره الجدل العقيم الذى لا يأتى بنتيجة، والذى يظل كل امرئ بعده متمسكا برأيه، متعصبا لما ذهب إليه، فهذا لا فائدة فيه، وقد قال النبى ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) [٢] ثم تلا قول الله تعالى: ﴿**بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨] أى شديدو المجادلة، وهذا وصف لقريش فى جاهليتهم.

الأمر الثالث: أنى أكره تتبع المخالفين لى والرد عليهم، فإن الأعمار أضيق وأنفس من أن تضيع فى مثل هذا، ولو أن الإنسان تتبع كل كلمة تقال عنه، أو كل رأى يقال فى حقه، لقضى عمره فى تتبع هذه الأمور، ولكنى أشغل نفسى أبدا ببيان الحقائق، أكثر مما أشغلها بالرد على الأباطيل.

ومن أجل هذا استكرهت نفسى على موضوع اليوم الذى أحدثكم فيه، وهو ما يتعلق بفوائد البنوك، لأنى سبق أن ألقيت خطبة فى هذا الموضوع [٣]

---

(١) ألقيت فى جامع (عمر بن الخطاب) بالدوحة، يوم الجمعة ٤/١٢/١٤١٧هـ الموافق ١١/٤/١٩٩٧م.

(٢) رواه أحمد، والترمذى وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبى، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير، عن أبى أمامة (فيض القدير: ٥/٤٥٣- ٤٥٤ برقم ٧٩٣٤).

(٣) انظرها فى هذا الجزء (ص ٧٩).

OBEIKAN.COM

ولا أحب أن أكرر هذه الخطبة – وأنا ألفت كتابا فى هذا الموضوع تحت عنوان: (فوائد البنوك هى الربا الحرام)[1]، وطبع منه عشرات الآلاف والحمد لله.

ولكن الأمر إذا أصبح ظاهرة للتشكيك فى المسلَّمات وتحويل القطعيات إلى محتملات، أصبح الأمر يقتضى الرد، ويقتضى الوقوف بحزم أمام هذه الظاهرة المرضية الخطيرة والفتنة الفكرية الجسيمة، التى تريد أن تحويل المحكمات إلى متشابهات، والقطعيات إلى ظنيات، والإجماعيات إلى خلافيات، فأصبحنا نشكك فى الأمور البدهية فى أحكام الدين، ليس هذا فى أمر ولا فى أمرين، ولا فى حكم ولا فى حكمين.

رأينا من يشكك فى ميراث الذكر والأنثى من الأولاد، وهو قطعى فى كتاب الله: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

رأينا من يشكّك فى إباحة تعدّد الزوجات.

رأينا من يشكّك فى وجوب قوّاميّة الرجل على الأسرة ومسؤوليّته عنها.

رأينا من يشكّك فى تحريم الخمر، ويقول: إن الله لم يحرّمها، ولكن قال: (فاجتنبوه)[2]!

رأينا من يشكّك فى حرمة الخنزير، ويقول: إنّ الخنزير الذى حُرّم لم يكن مثل خنزير زماننا، إنّها كانت خنازير تأكل القاذورات، أمّا خنازير اليوم فهى خنازير حديثة (مُودرن) تُربى تحت إشراف صحّى!

رأينا هذا ورأينا هذا كلّه.

---

(١) وقد طبعته (دار الصحوة) بالقاهرة (ودار الوفاء) بالمنصورة عام ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م. ومكتبة وهبة بالقاهرة، وطبعه أكثر من مصرف إسلامى، ليوزع مجانًا. ثم طبعه (المكتب الإسلامى) طبعة خاصة على نفقة (مصرف قطر الإسلامى) عام ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. وقد لاقى الكتاب قبولا عظيما ورواجا كبيرا، وكان له صداه القوى فى إبلاغ هداية الله، وإسماع صوت الحق، وكشف الزيف، والرد على الشبهات والأباطيل، والحمد لله رب العالمين.

(٢) فى قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠].

OBEIKAN.COM

وأبرز ما تجلّت فيه هذه الظاهرة مسألة: الربا.. الفوائد الربويّة.

هناك من يُشكّكون فى تحريم الفوائد الربوية !

والمدهش أنّهم يدخلون عليك مدخلاً عجيبا، يقولون: لا، نحن لا نشكّك فى تحريم الربا، الربا حرام، وكبيرة من الكبائر، وملعون على لسان محمّد ﷺ، ومن أنكر حرمة الربا فهو كافر مرتد مارق من دينه. ولكن نقول: إنّ الفوائد ليست من الربا ! كمن يقول لك: أنا لا أشكّك فى حُرمة الخمر، الخمر حرام، الخمر أمّ الخبائث، الخمر إحدى الكبائر، ولكنّى أقول: الشمبانيا ليست من الخمر، والكونياك ليس من الخمر، والويسكى ليس من الخمر !!

ما قيمة هذا الكلام ؟

إنّه كلام خطير، يضلّل الناس، ويموّه الحقائق.

وهذا ما أنكرته على برنامج (قضايا وآراء)[1]، وهو من أحبّ البرامج إلى نفسى، وقد شاركت فيه أكثر من مرّة فى قضايا عدّة، لأنّه يطرح الرأى وضدّه، وأنا من أنصار الحوار، ومن أنصار حرّيّة الرأى، ولست مستبدّاً بشىء.

ولكن هناك أشياء يبدو فيها القصد إلى التمييع.

قبلت من الإخوة مرّة ومرّتين أن يناقشوا هذا الأمر، وقلت لهم على رأس هذا المنبر: يكفى هذا، ولكنّهم لم ينتصحوا، وجاءوا بحلقة ثالثة، فما المقصود من هذا كلّه؟

وماذا يقول هؤلاء الذين أتوا بهم ؟

لم أسمع شيئاً ذا بال .

أنا أعيب على هذا البرنامج أمرين أساسيين يتعلّقان بالمنهج:

الأمر الأوّل: أنّهم يناقشون قضايا علميّة فقهيّة دقيقة على الرأى العام، كلّ من هبّ ودبّ يشارك فيها، وهذا خطأ منهجى. مثل هذه الأمور تُناقش فى حلقات علميّة فقهيّة بين أهل العلم والفقه.

---

(١) الذى كانت تقدّمه إذاعة قطر ظهر كلّ يوم خميس، مدة من الزمن.

OBEIKAN.COM

حينما طلبونى فى أوّل حلقة لأناقش فى هذا الأمر اعتذرت لهم، وكان اعتذارى، لأنى ذاهب إلى مصر بدعوة من صديق لى ولشيخ الأزهر، لنناقش هذا الموضوع فى حلقة ضيّقة يحضرها عدد محدود من أهل الفقه، وأهل الاقتصاد، وأهل البنوك الربويّة والإسلامية.

وعلى الرغم منّى وأنّى قلت له: ما أظنّ أنّ هذا سيفيد قال: علينا أن نعذر إلى الله ونؤدّى واجبنا، وذهبت إلى مصر فى اليوم الأوّل للحلقة الأولى فى برنامج (قضايا وآراء)، وانتظرنا أن يحضر الشيخ الأكبر، ولكنّه اعتذر لأسباب عنده[1].

المهمّ أنّ معالجة هذه الأمور يجب أن تكون فى حلقات علميّة وفقهيّة واقتصاديّة للخبراء والعارفين بهذه الأمور، ولا يُطرح هذا على الملأ.

هذا هو الخطأ المنهجى الأوّل.

والخطأ المنهجىّ الثانى: هو انتقاء أناس معيّنين، عُرفوا بالشذوذ عن إجماع فقهاء الأمّة، والبرنامج يبحث عن هؤلاء بإبرة حتى يأتى بهم، ويعطيهم الوقت الطويل، ويأتى ببعض النّكرات ويقول: الأستاذ الكبير، والفقيه العظيم، إلى آخره، ثمّ إذا جاءه من يردّ عليه يقول له: أمامك ثلاث دقائق.. خمس دقائق!

سبحان الله، أين العدل؟!

هذا خطأ منهجى.

إذا أردت أن تناقش هذا الأمر على الملأ ولا بدّ، فهات من أهل العلم والفقه فى أنحاء العالم الإسلامى، ممّن شاركوا فى المجامع الفقهيّة، التى أجمعت على أنّ فوائد البنوك هى الربا المحرّم شرعاً، وهذا قلته من قبل.

---

(١) كان الذى أعدّ ورتب لهذا اللقاء هو صديقنا الشيخ صالح كامل، وكان فى بيته فى القاهرة، ودعى إليه عدد محدود أذكر منهم الدكتور عبد العزيز حجازى، والدكتور حسين حامد حسان، والدكتور عبد الرحمن يسرى، والفقير إليه تعالى، وبعض رجال البنوك التقليدية، ولما حضرنا عند الشيخ صالح أبلغنا باعتذار الإمام الأكبر. (القرضاوى)

OBEIKAN.COM

مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر منذ سنة ١٩٦٥ م، والمجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى، ومجمع الفقه الإسلامى المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى، ومؤتمرات الاقتصاد الإسلامى، ومؤتمرات الفقه الإسلامى، ومؤتمرات الدعوة الإسلاميّة، كلّ هذه أجمعت – بعلمائها وفقهائها واقتصاديّتها ومحاسبيها – على أنّ فوائد البنوك هى الربا الحرام.

بل قلت: إنّنا كنا فى مؤتمر اقتصادىّ عالمى، وقد شارك فيه نحو ثلاثمائة من رجال الاقتصاد فى العالم، ومعظمهم جاءوا من أمريكا ومن أوربّا، وكان رجال الاقتصاد أشدّ حماساً لتحريم الربا من رجال الفقه والشريعة!

ماذا قال هؤلاء الذين جاء بهم البرنامج؟

قالوا كلاماً عجيبا.

لا أريد أن أتعرّض لكلام شيخ الأزهر، فهو لم يقل شيئاً جديدا، وطلب أن يُعرض الأمر على لجنة تبحث فيه، وهذا أمر طيّب يُحمد له.

ولكن هو زعم أنّ البنوك التجاريّة التقليديّة التى نسمّيها (ربويّة)، تستثمر أموال الناس! وهذا ليس بصحيح.

البنوك التقليديّة التجاريّة هذه لا تستثمر الأموال، وهذا يعرفه الذين يعملون فيها، ونعرفه من قراءة قوانينها وأنظمتها الأساسيّة، فهى لا تعمل فى التجارة ولا فى الاستثمار.

هى تأخذ المال من زيد وتعطيه لعمرو. أنت تودع مالك لها أو تقرضها – بالتعبير الصحيح لأنّه إقراض – بعشرة، ويأتى عمرو ليأخذ منها هذا المال فى مشروع له بثلاثة عشر، وتكسب هى من الفرق ما بين الإقراض والاقتراض.

هذا هو المعروف فى هذه البنوك، وهذا هو مقتضى قوانينها، ولا أجد أحداً ينكر هذا من الذين يعملون فى البنوك، وهذا هو الربا.

ما هو الربا؟

الربا ليس شيئاً جديداً، الربا كان موجوداً قبل الإسلام، كان موجوداً فى

الجاهلية العربية، وكان موجوداً فى الجاهليّة الرومانيّة، وكان موجوداً فى الجاهليّة اليونانيّة، كان موجوداً عند أمم شتىّ، ولا زال موجوداً إلى اليوم.

الربا: أن تعطى المال لآخر ليستخدمه مدّة من الزمن، على شرط أن يعود لك بفائدة عليه محدّدة، متناسبة مع الزمن، مع ضمان رأس المال، عمل فيه أو لم يعمل، كسب فيه أم خسر، كسب قليلاً أو كثيرا، خسر قليلاً أو خسره كلّه.

هذا هو الربا. هو ربا الجاهليّة، وهو ربا البنوك الحاليّة (الانترست) كما يسمّونه.

لا أدرى كيف يجادل الناس فى البدهيّات.. فى الأمور الواضحة ؟! وكيف يشكّك الناس فى هذه المسلّمات ؟!

هذا أمر عجب.

هناك من النّاس الذين استضافهم البرنامج من قال: الربا فى الذهب والفضّة، وهذا ليس ذهباً ولا فضّة، بل هو نقود ورقيّة.

وهذا أمر ناقشته من قديم فى كتابى (فقه الزكاة)[1]، وقلت: إنّ هذه النقود الورقية هى التى يدفعها الإنسان المسلم مهراً فيتزوج به المرأة، ويدفعها ثمناً فيستحلّ به السلعة، ويدفعها أجراً فيستحلّ به عرق العامل، ويدفعها دية فى القتل الخطأ، وعلى قدر ما يكون عنده من هذه النقود يكون غناه، وعلى قدر قلّتها يكون فقره.

وهل يسمح أحد بأن تؤخذ منه هذه النقود الورقيّة أو يقاتل عنها؟

هذا كلام ما عاد له قيمة.

ثمّ وجدنا من يصفه البرنامج بأنّه فقيه عظيم يقول: إنّ البنك لا يصحّ منه ربا، ولا يقع منه ربا، لأنّ البنك ليس شخصاً مكلّفاً – المكلّف مثل: زيد وعمرو وفلان وعلاّن – إنّما البنك شخصيّة معنويّة !

---

(١) انظر: الجزء الأول من الكتاب (ص ٢٧١ – ٢٧٦) (زكاة النقود الورقية). ط. مؤسسة الرسالة.

OBEIKAN.COM

هذا ما شمّ رائحة العلم، ما عرف أنّ الشخصيّات المعنويّة أيضاً عليها تكليف.

بيت المال شخصيّة معنويّة، المسجد شخصيّة معنويّة توقف الأوقاف عليه، الدولة شخصيّة معنويّة، مجلس النوّاب شخصيّة معنويّة.

يمكن أن يقول: إنّ الدولة يمثلّها الحاكم. نقول له: البنك يمثلّه المدير، أو المحافظ أو يمثلّه مجلس الإدارة.

هذه الشخصيّات المعنويّة لها اعتبارها.

وفى الفقه: نجد الخلطة فى زكاة الأنعام. فالنبى عليه الصلاة والسلام اعتبر من خلط أنعامه بأنعام شخص آخر، أصبحت كأنّها ملك لرجل واحد، بتعبيرنا: أصبحت شخصيّة معنويّة. وطرد ذلك الإمام الشافعى فى جميع الأموال، وأخذ بذلك مؤتمر الزكاة الأول بالكويت: أن نعتبر الشركة التى اختلطت فيها رؤوس الأموال بمثابة شخص واحد، كما هو مذهب الشافعى وبعض الفقهاء.

فكيف يقال هذا ؟!

هل معنى هذا أن نقول: إنّ للدولة أن تفعل ما تشاء، تحكم بغير ما أنزل الله، تحل الحرام، وتحرم الحلال وتسقط الفرائض، وليس عليها مسؤوليّة، لأنّها شخصيّة معنويّة، وإنّ للشركات أن تبيع الخمر، وتبيع الخنزير، وترتكب المحرّمات، ولا شيء عليها، لأنّها شخصيّة معنويّة، وليست شخصاً مفرداً مجسّماً مكلفا ؟!

هذا كلام لا يقوله إنسان عرف الفقه.

والمشكلة أنّ البرنامج لا يعرف الفقيه من غير الفقيه. بل هى مشكلة كثير من المسلمين، الذين يحسبون كل واعظ أو خطيب جيد، فقيها جيدا !!

الفقيه من كان له إنتاج فقهى معتبر: كتب، رسائل، فتاوى. ومن شهد له العلماء بأنّه من أهل الفقه، بعضّ النظر من أىّ كلية ومن أىّ جامعة هو، قد لا يكون من جامعة قط ، بعض الفقهاء ما تخرّجوا فى جامعات ، وليس معهم دكتوراه.

لكن المسألة ليست دكتوره، ولا ماجستير، ولا بكلوريوس. المسألة أنّ الفقه

علم ودراسة، وممارسة ومعايشة، الفقه بحر عميق لا يستطيع أن يغوص فيه إلاّ غوّاصون. فهؤلاء لا يعرفون من هم أهل الفقه ولا من هو غيرهم، ويأتون بإنسان ويقولون بأنّه اقتصادى كبير، وهو ليس اقتصاديا، هو قانونى... إلخ.

على كلّ حال، الذى يهمّنا هو (الأدلّة)، من يقول الرأى بدليله القوى الحجّة المقنع – والله – نرحّب به أيّاً كان موقعه.

ولكنّى لم أر – للأسف – من الذين جاء بهم هذا البرنامج من قال شيئاً مقنعاً.

هناك من قال: أن النبى عليه الصلاة والسلام مات ولم يبيّن ما هو الربا؟ وروى أثراً عن عمر رضى الله عنه، وهو أثر لم تثبت صحته، وحتى لو ثبتت صحته فإنّ عمر قال: «كنت أودّ أنّ النبى ﷺ عهد إلينا فى أمور ثلاثة: الجدّ، والكلالة، وأبواب من الربا»، وهو لوصحّ هذا عنه يقصد (ربا البيوع) وليس (ربا النسيئة)، لأنّ ربا النسيئة أمر مقطوع به [1].

كيف يمكن أن نتصوّر أنّ رسول الله ﷺ مات ولم يبيّن كبيرة من الكبائر؟!

كيف قال للصحابة: «اجتنبوا السبع الموبقات...»[2] وعدّ منها: «الربا»؟!

كيف «لعن النبى ﷺ آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء»[3] ولم يسأله أحد ما هو الربا يارسول الله؟!

---

(١) المشهور أن الذى كان يقول بإباحة ربا الفضل (أو ربا البيوع) من الصحابة إنّما هو ابن عباس رضى الله عنهما، ثمّ رجع عن رأيه حين سمع عمر وابنه عبد الله يحدّثان عن رسول الله ﷺ بما يدلّ على تحريمه وقال: حفظتما من رسول الله ما لم أحفظ (نيل الأوطار للشوكانى: ٥/٢٩٩). وهذا يؤكدّ لنا تهافت القول المنسوب إلى عمر – رضى الله عنه – وعدم صحته.

(٢) فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، ونصّه: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يارسول الله، وما هنّ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: برقم ٧١٩، ١٠٥٤).

(٣) رواه مسلم، وغيره، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٣٤ برقم ١٠٥٦).

OBEIKAN.COM

كيف أنزل الله تلك الآيات التى تهتزّ لها القلوب، وتقشعرّ لها الأبدان: ﴿ **الَّذين يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٩]. كيف قرأ المسلمون هذه الآيات ولم يعرفوها؟ ولماذا لم يسألوا رسولهم، الذى أنزل الله إليه الذكر ليبيّن للناس ما نزّل عليهم؟

وقبل ذلك نزلت فى سورة آل عمران، بعد غزوة أحد بعد السنة الثالثة من الهجرة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وكذلك نزل فى سورة النّساء عن اليهود: ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ..** ﴾ [النّساء: ١٦١].

بل فى سورة الروم فى العهد المكى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ..** ﴾ [الروم: ٣٩].

كيف لم يفهم الصحابة هذه الآيات، ولم يسألوا عنها؟!

أهذا معقول؟!

ما معنى: ﴿ **.. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..** ﴾ [المائدة: ٣]؟

ما معنى: «تركتكم على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك»[١]؟

---

(١) رواه ابن ماجه، عن العرباض بن سارية، وصحّحه الألبانى وسكت عنه البوصيرى.

OBEIKAN.COM

نقول له: لا يارسول الله ما تركتنا على المحجّة البيضاء، تركتنا على طريق مظلمة، التبس فيها الحق بالباطل، واختلط فيها الحابل بالنابل، والحلال بالحرام، حتى أنّ هذه الكبيرة الموبقة لا نعرف ما هى ؟!أ

أهذا معقول يا عباد الله ؟!

ولكن وجدنا من يقول هذا الكلام الغريب .

وجدنا من يقول: إنّ الفقهاء اختلفوا فى علّة الربا، وقال ابن عقيل: إنّ كلام الفقهاء فيها كلام ضعيف.

وهؤلاء الناس يتكلمون فى أمر ليس هو موضع النزاع، الكلام هذا فى علّة ربا البيوع.. فى الأصناف الستة: «الذهب بالذهب، والفضّة بالفضة، والبرّ بالبرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح: مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى...»[1]. هذا الكلام فى العلّة فى هذه الأصناف الستة، ونحن لا نبحث فى ربا البيوع، نبحث فى ربا النسيئة، وهذا لا كلام فيه، لا يدخل فى مسألة التعليل، هذا موجود بالنّص: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة...» لا يحتاج إلى تعليل ولا إلى قياس. الربا فى (النّقود) هذا أمر منصوصٌ عليه لسنا فى حاجة إلى علّة حتى نقيس الفرع على الأصل، وغير المنصوص على المنصوص، وقد أصبحت النقود الآن هى النقود الورقيّة، فهذا كلام لا معنى له.

وقال من قال من هؤلاء: إنّ تحديد الربح أمر جاء به الفقهاء، وليس عليه نصّ ولا دليل. وأنا أقول: إنّ ما يجرى فى البنوك ليس من باب المضاربة حتى تدخل مسألة الربح. ما يجرى فى البنوك التقليديّة (إقراض)، ليس مضاربة بينك وبين البنك حتى نقول: إنّه يمكن تحديد الربح، الربح شيىء آخر. حتى علماء الاقتصاد أنفسهم يقولون: إنّ عوائد المشروع هى إمّا أجرة، أو فائدة، أو ريع، أو ربح. الفائدة لمن مدّك برأس المال حسب النظام الرأسمالى، إنّه يعطيك رأس المال

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنّسائى، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٣ / ٥٧١ برقم ٤٣٥٥).

أو جزءاً منه ويأخذ الفائدة المشروطة، سواء كسب المشروع أم خسر، والريع لأصحاب العقار أو المعدّات، والأجرة للعمّال الذين اشتغلوا، والربح لصاحب المشروع أو المنظّم، قد يبقى له ربح وقد لا يبقى، وقد يكون قليلاً، وقد يكون كثيرا، وقد يخسر بالمرّة.

هذا هو النظام الرأسمالى .

الربح لا يمكن أن يتحقق إلاّ بعد انتهاء العمليّة، لا يمكن أن يُحدّد مقدّما، الربح المتوقع شيىء، والربح المُحقق شيىء، المتوقع أمر قد يحدث وقد لا يحدث، وقد يحدث عكسه تماماً، حتى الذين يقولون بالتضّخم وتعويض التضخم، لا نستطيع أن نعرف حقيقة التضخم إلاّ بعد مضىّ المدة، أمّا قبلها فهذا لا يمكن، لأنّه قد يحدث تضخم وقد لا يحدث، وقد يحدث قليلاً وقد يحدث كثيرا، وقد يحدث العكس.

لو أنّ النقود هبطت قيمتها وتغيرّت الأسعار إلى الانخفاض، هل يتغيرّ الأمر؟ من الذى يدفع فى هذه الحالة: الدائن أم المدين؟ البنك أم الذى أقرض البنك؟ لا يتغيرّ الأمر.

فنحن نؤكّد أنّ الربا المحرم شرعاً، والذى لا شك فيه هو: الزيادة المشروطة المسبّقة على رأس المال بغير مقابلة عوض إلاّ التأخير فقط، إلاّ تأخير المبلغ، إلاّ الزمن. بغير مقابلة أىّ شيىء، لا بيع ولا شراء، ولا شيىء من هذا.

بعض الإخوة العاملين فى البنوك هنا كتب فى صحف قطر، وأطال وأعاد، وكرّر وكرّر، وبعث إلىّ، وهو يقول كلاماً مضحكاً فى الحقيقة، يقول: الربا ليس معناه (الزيادة) ! ما معناه؟ يقول: معناه (المضاعفة) ! من أين أخذت هذا؟ قال: إنّ الإنسان إذا عمل حسنة يضاعفها الله !!!

أهذا منهج علمىّ ؟!

من أراد أن يعرف معانى الألفاظ، فليرجع إلى المعاجم. ليرجع إلى معاجم اللغة.. إلى لسان العرب.. إلى القاموس.. إلى شرح القاموس (تاج العروس)،

OBEIKAN.COM

ارجع إلى مفردات القرآن للراغب الأصفهانى، ارجع إلى معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره مجمع اللغة العربيّة فى مجلّدين، بل ارجع إلى مختار الصحاح، ستجد أنّ (الربا) معناه: الزيادة، يقول لك: (ربا) أى: زاد، ونما، وعلا، هذا ما تدلّ عليه مادّة (ربا)، ومنه (الربوة) لأنّها مرتفعة زائدة على ما يحيط بها، ومنه قوله تعالى: ﴿**فأخذهم أخذة رابية**﴾ [الحاقة: ١٠] أى زائدة فى الشدّة، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ**﴾ [النحل: ٩٢] أى أكثر فى الزيادة والقوّة، ومنه (ربا فلان فى حِجْر فلان) يعنى: زاد، ونما، وهكذا، المادّة كلّها تدلّ على النموّ والزيادة.

لكن هذا جاء بكلام عجيب، وخالف كلّ النّاس، وأتى بما لم تأت به الأوائل، بل اكتشف ما غاب عن الفقهاء والشرّاح والمفسرّين واللغويين، وجاء بكلام من عنده، ليس عليه أثارة من علم ولا هدى ولا كتاب منير.

يقولون: إنّ الفوائد أصبحت ضرورة للأمّة أو مصلحة لها.

والله إن كانت هناك ضرورة فهذا أمر يقدّره أهل الرأى، والضرورات تقدر بقدرها. إذا كانت مصلحة فلا عبرة بالمصالح إذا صادمت النصوص القواطع، المصلحة إنّما تعتبر إذا كانت مصلحة مرسلة، أى: لم يأت من الشرع دليل على اعتبارها ولا دليل خاص على إلغائها. واشترطوا فى هذه المصلحة ألاّ تصادم نصّاً شرعيّاً ولا قاعدة شرعيّة، فكيف بما يصادم النصوص والقواعد والمقاصد؟

إنّى أهيب بالمسلمين جميعاً أن يقفوا عند حدود الله عزّ وجلّ. لقد أحقّ الله الحق، وأبطل الباطل، والحلال بيّن والحرام بيّن.

وإلاّ فإنّ معنى كلام هؤلاء، أنّه لا يوجد فى العالم الآن (ربا). لأنّ الربا الذى يقولونه: أن يذهب شخص إلى شخص آخر – على الطريقة القديمة – يريد أن يأكل أو يشرب، فيقول: اعطنى، فيقول: لا أعطيك إلاّ إذا دفعت لى كذا – بل بعضهم يقول لك: حتى هذا ليس حراماً، لأنّه يريد أنّ الحرام هو (ربا المضاعفة) يعنى: الربا (١٠٠٪)، وبعضهم يقول: الحرام ما كان (أضعافاً

OBEIKAN.COM

مضاعفة) يعنى : (٦٠٠٪) – هذه الصورة من صور المعاملات الربويّة لم تعد موجودة، لم يعد هناك شخص يذهب إلى شخص مرابٍ يقول له : اعطنى .

أصبح الربا فى صورة منظّمة، أصبح البنك هو المرابى الأكبر، هو الذى يمثّل المرابين القدامى . وبنوكنا صورة من البنوك الغربيّة، الموجودة فى العالم الرأسمالى كلّه، فإذا لم يكن عندنا ربا فليس عندهم ربا . مقتضى ما يقوله هؤلاء : إنّه لا يوجد ربا فى العالم، لا تقولوا عن اليهود أنّهم أكلة ربا، ولا أنّهم وراء المصارف الربويّة، لا تقولوا هذا، اليهود مبرّأون من هذا كلّه، لا تصدّقوا النبى – ﷺ – فيما رواه أحمد وأبو داود والنّسائى وابن ماجة عن أبى هريرة، أنّه قال : « يأتى على الناس زمان لا يبقى أحد إلاّ أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غُباره »[1] .

هؤلاء يقولون : لا، هذا كذب، الربا انتهى ! لأنّه لم يعد هناك من صور الربا القديم الذى يذكرونه، هذا هو الربا كما يفهمه الناس الآن، وهم لا يعتبرون التعامل مع البنوك من الربا المحرّم .

ماذا أقول لهؤلاء ؟

قالوا : تحديد الربح لم يرد عليه دليل . وأنا رددت على هذا من نحو أربعين سنة فى كتابى (الحلال والحرام فى الإسلام)، وقلت : هناك دليلان أساسيّان على هذا الأمر :

الدليل الأوّل : الإجماع . قال الإمام ابن المنذر : أجمع كلّ من نحفظ عنه العلم من أهل الفقه، أنّ اشتراط دراهم معلومة لأحد المتعاقدين فى المضاربة، لا يجوز، هو حرام . وذكر طوائف من العلماء حرّموا هذا الأمر . ونقل هذا عنه ابن قدامة، ونقل عنه ذلك النّووىّ، ونقل عنه ذلك آخرون .

---

(١) شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط (٨ / ٥٥ ، برقم ٢٠٥٥) . ورواه الحاكم أيضا وعلّق صحته على سماع الحسن من أبى هريرة رضى الله عنه، وكذا الذهبى، ورجحّ الشيخ شاكر سماعه منه فى تخريجه للحديث (٧١٣٨) من المسند (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥٣٥ – ٥٣٦ برقم ١٠٦٤) .

فهذا هو الإجماع، والإجماع حجّة، ولم يُعرف خلاف هذا فى خلال القرون كلّها، ما عُرف عالمٌ خرج عن هذا الأمر.

الدليل الثانى: وهناك دليل آخر يُعتبر سند هذا الاجماع. هذا الدليل هو أنّ النبى ﷺ نهاهم فى المزارعة أن يُشترط لأحد الطرفين شيىء معيّن. كانوا يزارعون على أراضيهم، فيشترط صاحب الأرض قطعة معيّنة – على الجداول النهريّة أو على المكان الفلانى أو قناطير معينّة – يقول: هذه القطعة تكون ثمرتها لى، فجاء النبى ﷺ ونهاهم عن ذلك، فى أكثر من حديث نهاهم عن هذا الأمر، وقال: «فربما أخرجت ذه، ولم تخرج ذه»(١). ومعنى هذا أن يكون لأحد الطرفين غنم مؤكّد والآخر عليه غرم محتمل، والعدالة تقتضى أن يشترك الشريكان فى الغرم والغنم، هذه هى عدالة الإسلام المحكمة.

هذا هو ما جاء به الإسلام فى المزارعة، وقد قال العلامّة ابن قُدامة: المضاربة مزارعة فى المعنى. وهذا صحيح.

وأنا أقول: المزارعة أخت المضاربة، أو المضاربة أخت المزارعة. المزارعة مضاربة فى الأرض، والمضاربة مزارعة فى المال. كلّ منهما نوع من الاشتراك. فى المزارعة يشترك صاحب الأرض والزارع، وفى المضاربة يشترك ربّ المال والعامل، يتعاون صاحب المال مع صاحب الخبرة والجهد، ومن خلال هذا التعاون تُقتسم الثمرة بينهما، ربحاً أو خسارة، قليلاً أو كثيرا، فى الغرم والغنم، هذه هى العدالة، هذه مقتضى المشاركة، التضامن فى المسؤولية، لا أن يكون لك الغنم أبداً، وأن يكون علىّ الغرم وحدى.

هذا ما جاء به الإسلام: «المضارب أمين» فلا يمكن أن يكون الأمين ضامناً، أمين على هذا المال، يعمل فيه لحساب الطرفين، إلا إذا قصر أو تعدى.

---

(١) قطعة من حديث رافع بن خديج المتفق عليه، قال: كنّا أكثر أهل المدينة حقلاً، وكان أحدنا يُكرى أرضه، فيقول: هذه القطعة لى، وهذه لك، فربّما أخرجت ذه، ولم تخرج ذه، فنهاهم النبى ﷺ (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٨ / ٢٥٤، برقم ٢١٧٨).

إذا ثبت عليه التقصير أو التعدى والخيانة، يتحمل المسؤولية، وما عدا ذلك فهو أمين على هذا المال، ولذلك لا يضمن هذا المال.

فهذا هو الذى جاء به هذا الدين، الذى أقام الموازين القسط بين الناس.

يا أيها الإخوة:

لا أستطيع أن أسترسل أكثر من ذلك، كل ما أقوله: أنى لم أجد شيئا مما قاله هؤلاء الناس يستحق الرد العلمى الصحيح، كلها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها من الشرع ولا من العقل برهان.

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعل لنا من عسرنا يسرا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا.

اللهم اكفنا بجلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم آمين، ادعو الله يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن الآن فى العشر الأوائل من ذى الحجة، وهى أيام مباركات، كما جاء عن ابن عباس: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام» يعنى العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشئ»[1] يبذل نفسه لله وماله لله.

ولذلك سن فى هذه الأيام التحميد والتهليل والتكبير[2] والذكر

---

(١) رواه البخارى، والنرمذى، وأبو داود، وابن ماجه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٥١، ٣٢، برقم ٦١٠).

(٢) روى الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح، والتحميد والتهليل، والتكبير» (المنتقى من كتاب الترغيب والترغيب: ١/ ٣٥٢ برقم ٦١٠).

OBEIKAN.COM

والاستغفار والصدقة والصيام. وأوكد أيام الصيام فيها: اليوم التاسع من ذى الحجة (يوم عرفة)، فصيامه مؤكد – لغير الواقفين بعرفة – وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام: «صيام يوم عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفّر السنة التى بعده، والسنة التى قبله» (١).

فاحرصوا على صيام هذه الأيام، وابدأوا تكبير العيد عقب كل صلاة من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر آيام التشريق (٢٣ صلاة) واستعدوا لهذا العيد بالأضحية لمن قدر عليها، ويستطيع الإنسان أن يضحى فى بلد آخر خصوصا فى البلاد الفقيرة، والأضاحى هناك أقل ثمنا من هنا. تستطيع بثمن الأضحية هنا أن تضحى بثلاث أو أربع فى بلد آخر، وتعين إخوانك المسلمين الفقراء.

وأنصحكم – أيها الإخوة – ألا تنسوا فى هذه الأيام إخوانكم الذين يعانون ما يعانون، من جراء الظلم والبطش، والاضطهاد فى فلسطين فى أرض النبوات، الذين يلاقون ما يلاقون، ويسقط منهم الشهداء والجرحى فى كل يوم، نتيجة: العنجهية الإسرائيلية، والتجبر الإسرائيلى، وهذا السكوت أو الصمت العربى أو العجز العربى، والغياب الإسلامى.

ينبغى ألا ننسى إخوتنا هؤلاء، مااستطعنا أن نعينهم فلنفعل ولا ننسى إخواننا فى السودان، وإخواننا فى كشمير، وإخواننا فى سائر البلاد. أقل ما يجب أن ندعو الله تعالى لهم، نهتم بأمورهم، نشغل أنفسنا بهمومهم وأحزانهم.

نحن الآن فى فترة عصيبة، فى زمن رهيب، زمن يهجم فيه على الإسلام من

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، والترمذى (وهذا لفظه) عن أبى قتادة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٣١٦، برقم ٥٢٥).

OBEIKAN.COM

يمين وشمال، تهاجم فيه الصحوة الإسلامية، والأمة الإسلامية من كل جانب، فليس أمامنا إلا الله، نلجأ إليه، ونلوذ بجنابه، ونعتصم بحبله، ونتضرع إليه، أن يكشف الغمة، ويفرج الكربة عن هذه الأمة، وأن يلتف بعضنا ببعض، ونقف متلاحمين، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤].

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهكلنا بما فعل السفهاء منا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾. [الحشر: ١٠] اللهم آمين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾. [العنكبوت: ٤٥]

* * *

OBEIKAN.COM

٨ - القرآن قدس الأقداس
الرد على المشككين فى القرآن

● **الخطبة الأولى:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كانت هناك موضوعات عدة تتنازعنى لأحدثكم عنها:

هناك قضية المسلمين الأولى: قضية فلسطين.. قضية القدس.. قضية المسجد الأقصى، ومايبيت له وما يدبر فى شأنه، كانت تستحق الحديث.

وهناك قضية اقتصادية كنا بدأناها: البنوك وفوائد البنوك، والربا الذى آذن الله فاعليه بحرب من الله ورسوله، ومحاولات بعض الناس أن يستحلوا ما حرم الله، وأن يبطلوا ما شرع الله، بجهل أو غباء أو اتباع هوى، أو تقليد أعمى.

هناك أكثر من قضية كانت تستحق الحديث.

ولكنى أرجأت الحديث عن هذه الموضوعات، لأحدثكم فى قضية خطيرة غاية الخطورة:

ذلك أن لكل أمة مقدساتها التى يجب أن تحفظها وترعاها، وتحميها من كل معتد عليها. ونحن عندنا مقدساتنا التى لا يجوز لأحد أن يعتدى عليها أو يعبث بها.

قدس الأقداس عندنا هو القرآن الكريم، عمدة الملة، وأساس العقيدة ومصدر الشريعة، وروح الوجود الإسلامى كله. فلا يجوز لمدّع أومغرور أن يتطاول على هذا القرآن، هذا القرآن الذى أعجز العرب أن يأتوا بحديث مثله أو يعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وغلبوا وانقطعوا. ولا زال الزمن يكشف لنا كل يوم عن معان جديدة فى إعجاز هذا القرآن، تزيدنا إيمانا به، وبسر الله فيه.

هذا القرآن الذى حفظه الله تعالى وتكفل بحفظه، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩] هذا

OBEIKAN.COM

القرآن وجدنا فى عصرنا هذا من يتطاولون عليه من رجال ونساء، أصبح القرآن كلا مباحا لكل من هب ودب من الناس، يريد أن يتطاول على هذا الكتاب الكريم.

● **من قال: القرآن منتج ثقافى:**

هناك من قال عن هذا القرآن – كلام الله عز وجل، كتاب الله المبين، الحكيم، العظيم، إنه مجرد منتج ثقافى، أنتجه الواقع وثقافة الواقع! فالواقع فاعل، والقرآن منفعل، هذا الواقع – أى واقع الجاهلية الذى بعث محمد ﷺ ليخرج الناس منها – كان مؤثرا فى القرآن، والقرآن كان متأثرا به، القرآن مجرد منتج ثقافى، كأنما هو قصيدة من الشعر، أو قصة من النثر، أو مقالة لكاتب من الكتَّاب!

هذا ما قاله بعض الناس.

ورأينا هؤلاء وشاهدناهم وسمعناهم فى القنوات الفضائية، وقيل لبعضهم: هل عندك خطوط حمراء؟ قال: لا، ليس عندى أية خطوط حمراء، كل شئ قابل للنقاش، الألوهية.. النبوة.. قدسية القرآن.. إلهية القرآن، كل هذا عنده قابل للنقاش!

من ترفض شرع الله فى الميراث:

والعجيب أن القنوات الفضائية أصبحت تفتح صدورها وأبوابها لهؤلاء الناس، المتطاولين على كتاب الله، ووجدنا من النساء – فى إحدى القنوات الفضائية – امرأة.. دكتورة ترفض آيات الميراث، ترفض حكم الله فى قوله تعالى: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾ [النساء:١١] وتقول: هذا حكم انتهى وقته، هذا كان عندما كانت المرأة تابعة للرجل، ولم يكن لها استقلالها الاقتصادى. أما المرأة الآن وقد تعلمت وعملت فما عاد هذا الحكم قائما!

الله تعالى يقول: ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾ ويقول فى آخر الآية: ﴿ **فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء ١١] ولذلك يسمى علم الميراث: علم الفرائض.

ويقول فى الآية الثانية: ﴿ **وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ** ﴾ [النساء:١٢].

ويقول فى الآية الثالثة: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [النساء ١٣، ١٤].

ولكن تلك المرأة تقول: هذا حكم انتهى! يجب إذن أن نغير أحكام الشريعة، فليس الأمر كما قال الله: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [النساء: ٣٤]!

الرجل مطالب أن ينفق على الأسرة، وأن يدفع مهراً للمرأة ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤] ليس الرجل إذن مطالبا أن يدفع صدقة أو مهراً للمرأة، وليس مطالبا أن يؤسس بيت الزوجية، وليس مطالبا أن ينفق على الأسرة، وليس مطالبا أن يكون مسؤولا عن الأسرة، يجب أن نلغى هذه الأحكام كلها!

تذويب الثوابت:

هؤلاء الناس يريدون أن لا يبقى شئ ثابتا، ولا تكون هناك (ثوابت) تستقر عليها الأمة، وتتحرك فى إطارها.

أمة بلا ثوابت معناها: (أن لا أمة): كل مجموعة لها أحكامها ولها أفهامها، كل بلد له أفهامه، كل عصر له أفهامه، كل فرد له فهمه!

لم يعد الدين جامعا إذن، وإنما أصبح لكل عصر دينه، ولكل بلد دينه، ولكل بيئة دينها، بل أصبح لكل فرد دينه!

هذا ما يريده هؤلاء.

لا توجد أمة بهذه الطريقة وبهذه الصورة.

OBEIKAN.COM

إنهم يريدون التشكيك فى ثوابت الأمة.. فى القطعيات التى استقر عليها إجماع الأمة، وعلمت من الدين بالضرورة، وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، والخلف عن السلف، جيلا بعد جيل، وأصبحت تجسد الوحدة العقدية، والفكرية والشعورية والسلوكية والعملية للأمة.

هؤلاء يريدون أن يشككوا فى هذا كله، وهذه قضية فى غاية الخطورة: أن تصبح القطعيات ظنيات، أن تتحول المحكمات إلى متشابهات .. أن تتحول مواضع الإجماع اليقينى إلى أشياء تناقش فى قنوات الفضاء وفى الإذاعات، وفى الصحف والمجلات.

إذاعة قطر لها حلقتان تناقش فيهما قضية الربا: هل هو حرام أو ليس حراما؟! وفوائد البنوك قضية انتهت منها المجامع، ومع هذا يريدون الكلام فيها مرة ومرة ومرة، ما المراد من هذا كله؟

تشكيك الناس فى المسلّمات وزعزعة الثقة بالقطعيات. المسلّمات القطعية يراد لها أن تكون موضع نقاش وجدال، وقيل وقال.

وإلا فما معنى هذا؟

ما معنى أن نناقش فوائد البنوك وقد اتفقت مجامع الأمة على أنها حرام؟! ما معنى أن نناقش تعدد الزوجات؟

● **ما شرعه القرآن حكم بطل زمانه:**

ما معنى أن تدعى امرأة سليطة اللسان، جريئة على أحكام الله وحرمات الله، وتقول فى قناة الجزيرة الفضائية القطرية: هذا حكم بطل زمانه؟!

الله تعالى يقول: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء:٣] تقول: هذا حكم بطل زمانه؟

من أنت أيتها الإنسانة حتى تحكمى على القرآن بأنه قد بطل زمانه؟! أجاء

OBEIKAN.COM

القرآن لزمن دون زمن ولعصر دون عصر؟! ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ [البقرة:٨٥] ؟ (١).

إذا كان هوى الإنسان هو الذى يحكم على الله وعلى كتابه، انتهت الشريعة، وانتهت العقيدة، وانتهى الدين. الدين جاء حاكما لا محكوماً جاء يقودنا لنتبعه لا ليتبعنا هو. إذا أصبح الدين تابعا لنا.. لأهوائنا . لآرائنا، معناه أن الدين لم يعد حكما نرجع إليه إذا اختلفنا، ونعو د إليه إذا انحرفنا.

الله تعالى يقول: ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [النساء :٥٩]، وهؤلاء لا يريدون أن يردوا الأمر إلى كتاب الله. إذا رددتهم إلى كتاب الله يقولون لك: هذا حكم زمانه مضى!

الخنزير الذى حرمه القرآن وقال: ﴿ **إِنَّهُ رِجْسٌ** ﴾ [الأنعام:١٤٥] (٢) يقولون: هذا خنزير الزمن الماضى، أما خنازير زماننا فهى خنازير حديثة (مودرن) لا تدخل تحت هذا الكلام !!

وهكذا يقولون فى كل شئ.

كيف نقول فى قول الله تعالى: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء:٣] أن هذا حكم بطل زمانه؟!

لقد جاء الإسلام بالحكم العدل.

التعدد بين الإسلام وغيره:

كانت هذه القضية موجودة فى الأمم: عند العرب فى الجاهلية، وعند الرومان، وعند سائر الأمم، حتى قالوا: أن داود عليه السلام كان عنده مائة امرأة

---

(١) وتتمتها: ﴿ **فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾

(٢) فى قوله تعالى ﴿ **قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾

ومائتا سرية وأن سليمان عليه السلام كان عنده ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية. وكان العرب يعددون بغير قيد ولا شرط، فجاء القرآن ووضع قيداً وشرطا: القيد أنه لا زيادة على الأربع ﴿ **مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾.

والشرط هو العدل، أن يثق الإنسان من نفسه بالعدل ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ** [مجرد الخوف] **أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء:٣].

والعجيب أن هؤلاء يقولون: إن القرآن قال: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء:٣]، ثم قال في الآية الأخرى في نفس السورة ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾ [النساء:١٢٩] فكأن القرآن حلل في الآية الأولى وحرم في الآية الأخرى!

أهذا يفعله عاقل؟ أيهدم القرآن ما بناه في سورة واحدة؟ هذا لا يفعله العاقل من الناس فكيف بأحكم الحاكمين؟!.

﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ** ﴾: أي أن العدل الكامل غير مستطاع. ولو أكملوا الآية لوجدوا تفسير هذا، لأن الآية تقول: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِوَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** ﴾ [النساء:١٢٩] لن تستطيعوا، والإنسان لا يكلف بما لا يستطيع، لأن العدل الكامل أن تعدل في كل شئ: في الظاهر والباطن، في النفقة والكسوة والمبيت والسكن (وهذه هي الأشياء الظاهرة). وأن تعدل في الميول والعواطف فتحب هذه مثل ما تحب تلك (وهذه هي الأشياء الباطنة) وهذا لا يملكه الإنسان.

ولذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم بين نسائه في الأمور الظاهرة: النفقة والكسوة، والمبيت، ولكنه يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[1]، يعني بما لا يملكه: أمر القلب وأمور العواطف، فهذه لا يملكها الإنسان.

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وإسناده قوي، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، عن عائشة رضي الله عنها (شرح السنة للبغوي بتحقيق شعيب الآرناؤوط:٩/ ١٥١).

ولذلك نرى الآية تقول: ﴿ **فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ** ﴾ [النساء:١٢٩] والمعلقة: التى لا هى مزوجة ولا مطلقة. ومعنى الآية ومفهومها: أن بعض الميل متسامح فيه، بعض الميل مغتفر، لأن الإنسان لا يستطيعه ولو حرص. ولا يكلف الإنسان بما لا يستطيع ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة٢٨٦]، ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن :١٦] فهذا معنى الآية الكريمة.

أما أن يقول هؤلاء: إن القرآن اشترط شرطا وقال إنه مستحيل! فكيف يفعل هذا أحكم الحاكمين عز وجل؟! وكيف عدد النبى ﷺ؟وكيف عدد الصحابة؟ وكيف عدد التابعون؟ وكيف عدد المسلمون طوال أربعة عشر قرنا؟!

عجيب أن تقول هذه المرأة: هذا حكم بطل زمانه! كيف بطل زمانه والعالم يعدد إلى اليوم؟! كل العالم يعدد، ولكن هناك من يعددون فى الحلال ومن يعددون فى الحرام.

الغرب كله يعدد، هذا أمر لا شك فيه، ولكنه تعدد لا إنسانى ولا دينى ولا أخلاقى، هذه حقيقة معروفة. الإنسان الغربى يعاشر امرأة خليلة له.. رفيقة.. عشيقة، ولا يتزوجها، أما فى الإسلام فلا، الإسلام يعالج الأمور بصراحة، ويقول: إذا كنت محتاجا إليها فتزوجها، والتزم بما توجبه عليك الحقوق الزوجية، وإذا جاء منكما نسل فهو منكما، له حق الأبوة والأمومة. هذا ما جاء به الإسلام.

الغرب كله يعدد، ولكن تعدد الخليلات لا تعدد الحليلات، وهؤلاء يريدون أن نكون كالغربيين.

وعندما قال المذيع لهذه الإنسانة: ماذا تقولين فى ثمانية ملايين من النساء فى أمريكا أزيد من عدد الرجال؟ لم تجب عن هذا السؤال، وقالت: وإذا زاد عدد الرجال ماذا نفعل؟ ولكنها لم تجب عن الملايين الثمانية من النساء.

ماذا نفعل إذا زاد عدد النساء على الرجال؟ وكثيرا ما يحدث هذا، ثم هناك

OBEIKAN.COM

قضية أخرى: كل امرأة بلغت قابلةلأن تتزوج ، وعدد الصالحات للزواج من النساء دائما أكثر من عدد القادرين على أعباء الزواج من الرجال. هذه قضية متفق عليها، لأنه ليس كل رجل قادرا على أن يتزوج، ستظل هناك أعداد من النساء فائضة، فماذا نفعل فى العدد الفائض؟

أمامنا واحدة من ثلاث:

– إما أن نترك هذه الأنثى مكبوتة ولا تحقق وجودها، ولا تحقق أنوثتها ولا تحقق الغريزة الفطرية فى الإشباع ولا الغريزة الفطرية فى الأمومة ولا تتمتع بحياة زوجية ولا بأمومة، ونحكم عليها بالكبت والحرمان، وهذا ليس عدلا.

– وإما أن ندع حبلها على غاربها فى التسول الجنسى، والتسكع، تفعل ما تشاء، وهذا ما فعله الغرب، وهو ما يرفضه الإسلام.

– وإما أن نبيح لها أن تتزوج برجل متزوج، قادر على أن ينفق عليها وقادر على أن يعدل بينها وبين ضرتها، وهذا هو العدل.

● **التعدد لصالح المرأة والمجتمع:**

يقولون: إن التعدد ضد المرأة! أى المرأتين؟ المرأة الأولى أو المرأة الثانية؟ المرأة الثانية هى امرأة أيضا، وقد رأت من الخير لها والنفع لها أن تتزوج برجل متزوج، وأن تكون نصف زوجة، فذلك خير لها من الحرمان.. خير لها من العنوسة.

هذه أمور شرعها الله عز وجل، ليحل بها عقداً فى الحياة ومشاكل فى الحياة. هؤلاء الذين يتعالمون على الله، ويستدركون على الله، ويزعمون أنهم أعلم من الله بمصالح خلقه، نقول لهم: ﴿ **أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٤٠] أأنتم أعلم من الله بخلقه؟ أأنتم أرحم من الله بعباده؟ والله تعالى يقول: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

قالت هذه المرأة: إذا زاد عدد النساء وعرفنا أن هذه أنثى عن طريق الأشعة

OBEIKAN.COM

التى تصور الأجنة فى بطون أمهاتها – نتخلص منها!!! أباحت إجهاض الأنثى، وهذه جريمة.

فى مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة [1] : وقف الأزهر والكنيسة، وقف شيخ الأزهر[2] وبابا الفاتيكان، وقفت الأديان كها ضد الإجهاض وضد الاعتداء على الحياة.

هؤلاء يريدون أن يعيدوها جاهلية ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [التكوير:٨، ٩] كان أخونا وصديقنا الدكتور حسان حتحوت الطبيب والعالم الشهير – يسميها: (موءودة القرن العشرين).

(حينما يعرف أن الجنين أنثى يتخلص منه) !! كيف يسمح لامرأة أن تقول هذا الكلام الخطير؟ وهى تكرر وتكرر: أن هذا الأمر قد بطل زمانه، وتقول أيضا: هذا بطل زمانه مثلما أبطلنا قوله تعالى ﴿ **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء:٣] !!

الإسلام استحدث العتق ولم يستحدث الرق:

نحن لم نبطل هذا، القرآن لم يستحدث (الرق) إنما استحدث (العتق) لم يقل: استرقوا، وما جاء فى القرآن (استرقوا) كل ما فى الأمر أن العالم كان يتعامل بهذه القضية، وكان هناك عبيد وجوار، فجاء القرآن فقرر لهؤلاء حقوقهم، وأبطل كل ما كان عليه أهل الجاهلية. سد الأبواب كلها، إلا بابا واحدا هو (الأسير) فى حرب شرعية، وهذا الأسير لنا معه عدة تصرفات منها تصرفان ذكرهما القرآن: ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [محمد :٤]

---

(١) فى الفترة من ٥ إلى ١٣ من سبتمر ١٩٩٤م وللشيخ القرضاوى خطبة كاملة حول هذا المؤتمر ووثيقته التى أصدرها نشرت فى الجزء الثانى من هذه الخطب (ص٢٢٩ – ٢٤٢).

(٢) هو الشيخ (جاد الحق على جاد الحق) رحمه الله، الذى وقف موقفا صلبا من محاولات (مؤتمر السكان) فقد رفض باسم الأزهر ما فيه من اتجاه إلى شرعية الاجهاض، وإباحة الشذوذ للرجال والنساء، والإباحية الجنسية، وانتزاع حق الآباء فى الإشراف على تربية أولادهم... إلخ، فجزاه الله عن الأزهر والإسلام خير ما يجزى العلماء العاملين والرجال المصلحين.

OBEIKAN.COM

﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ ﴾ أن نمن عليه لوجه الله ونطلق سراحه، لنحبب إليه الإسلام.

﴿ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ أن نفدى أسيراً بأسير، أو أسيراً بأسيرين أو أسيراً بمال، أو أسيراً بأى تعويض.

هذا ما نص عليه القرآن، وجاء فى السنة.

واسترق النبى ﷺ بعض السبايا من النساء والأطفال، ولم يسترق ذكراً بالغاً قط، كما قال الإمام ابن القيم. هؤلاء السبايا أصبحوا ضمن الأسرة المسلمة، تدخل المرأة ضمن الأسرة والأطفال ضمن الأسرة المسلمة، وكما جاء فى الحديث: «إخوانكم خولكم» (١).

الاسترقاق أمر لم يرغب الإسلام فيه، بالعكس، جاء الإسلام بأشياء كثيرة جدا لتحرير الرقيق، منها الكفارات: كفارة القتل الخطأ وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة الجماع فى نهار رمضان، وكفارة من ضرب عبده... إلخ.

فإذا جاء العالم وقالوا: لا عبيد ولا جوارى، فإن الإسلام يرحب بهذا، ولكن العالم لم يقل: لا تعدد.

إباحة الزنى وتحريم التعدد:

كما قلت لكم: التعدد موجود، ولكن الإسلام - لأنه دين واقعى - يعترف بالتعدد ويضبطه بشرائعه وقيمه وأخلاقه وقوانينه. أما أن نبيح للناس الزنى ونحرم عليهم التعدد، فهذه هى المصيبة، وهذا ما فعلته للأسف بعض البلاد الإسلامية العلمانية: تركيا وتونس فى شمال أفريقيا، حيث حرمت التعدد وأباحت الزنى!

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم عن أبى ذر رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ١٠/ ٢٢١ برقم ٣٠٤) و(كشف الخفاء للعجلونى: ١/ ٦٩ برقم ١٦٣).

OBEIKAN.COM

سمعت شيخنا الشيخ عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر) يحكى – هنا فى قطر –أن رجلا فى إحدى البلاد العربية والإفريقية – التى تحرم تعدد الزوجات – تزوج من امرأة زواجا عرفيا، لأنه لا يستطيع أن يوثق هذا الزواج رسميًّا، فتزوجها بشهود ومهر، وكان يتردد عليها. قدمت شكوى فى حقه، فتربصت به المباحث ، حتى قبضوا عليه عند هذه المرأة، وأخذ الرجل ليحقق معه، وقالوا له: ألا تعلم أن تعدد الزوجات ممنوع بالقانون؟ قال: بلى أعلم. قالوا: فكيف تزوجت هذه المرأة وهذا لا يبيحه لك القانون؟ قال لهم: ومن قال لكم إنها زوجتى؟ إنها عشيقتى.. رفيقتى. فقالوا له: آسفون كنا نحسبها زوجة لك!! وأمروا بتخلية سبيله وإطلاق سراحه !

أن تكون زوجة فهذا أمر يمنعه القانون، أما أن تكون رفيقة وعشيقة فهذا لا يمنعه القانون !

هذا ما يريده هؤلاء: أن يبيحوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، هذا أمر عجيب جدا.

● عمر لم يبطل نصًّا قرآنيا وحاشاه:

إن هؤلاء الذين يزعمون أن فى القرآن أحكاما بطل زمانها يتكئون على أمر يردد باستمرار، يقولون: إن عمر بن الخطاب عطل بعض نصوص القرآن لمصلحة رآها فى زمنه: عطل نص المؤلفة قلوبهم، ولم يعطهم من الزكاة، وعطل نص حد السرقة فى عام المجاعة. فإذا كان عمر وهو من الخلفاء الراشدين المهديين – الذين جاء فيهم حديث: «فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» (١) – فعل هذا، فنحن أولى به ! قالوا: ودلنا هذا على أن هناك أحكاما مؤقتة فى القرآن.

وهؤلاء ظلموا عمر رضى الله عنه. ما ألغى عمر نصا فى كتاب الله، ولا

---

(١) قطعة من حديث العرباض بن سارية، الذى رواه أبو داود الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، وهو الحديث الثامن والعشرون من أحاديث الأربعين النووية.

يملك عمر ولا غير عمر أن يبدل نصا فى كتاب الله أو يجمده. الرسول – عليه الصلاة والسلام – نفسه لا يملك هذا، والله تعالى يقول: ﴿ **وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ [يونس :١٥].

ولذلك ذهب الإمام الشافعى وعدد من الأئمة إلى أن القرآن لا ينسخ بسنة، وإنما ينسخ القرآن بالقرآن، اعتمادا على قول الله تعالى: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا** ﴾ [البقرة:١٠٦] والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثل القرآن.

فكيف يستطيع عمر أن ينسخ كتاب الله برأيه هو؟ وكيف يسكت عليه الصحابة الذين لا يخافون فى الله لومة لائم؟

ما فعل عمر شيئا من هذا.

كل ما فعله عمر أنه منع قوما كانوا يأخذون من سهم المؤلفة قلوبهم فى عهد النبى ﷺ وعهد أبى بكر.

ومن قال: إن إنسانا إذا كان مستحقا للزكاة، يظل مستحقاً أبد الدهر؟ قد يأخذ الإنسان من الزكاة لأنه فقير فى هذه السنة، ويغنيه الله فلا يأخذ فى العام القادم، بل يصبح فى العام القادم معطيا للزكاة لا آخذاً لها.

هناك أناس من زعماء القبائل العربية: الأقرع بن حابس التميمى، وعيينة بن حصن الفزارى وأمثالهما، كان النبى ﷺ يتألفهم بلعاعة من الدنيا، يعطيهم إياها حتى يرسخ إسلامهم، وتثبت أقدامهم فيه، وتتبعهم قبائلهم.

ظل أبو بكر يفعل هذا معهم، وكذلك ظل عمر، حتى حسن إسلامهم وحسن إسلام قبائلهم معهم، فلم يعد الإمام فى حاجة إلى أن يتألف قلوبهم، ولذلك قال عمر بصريح العبارة: إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم.

الإسلام الذى انتصر على الفرس والروم يتألف مثل هؤلاء الزعماء

OBEIKAN.COM

الأعراب؟! ما عاد الإسلام فى حاجة إلى أن يتألف هؤلاء، هناك مصارف للزكاة أولى بحصيلتها من هؤلاء.

فعمر لم يسقط السهم لكن لم يوجد المستحق.

نحن فى عصرنا لا يوجد سهم (فى الرقاب) لأنه لا يوجد عبيد ولا إماء، هل نقول إننا عطلنا هذا النص؟ لم نعطله، بل لم يوجد المستحق.

إذا كان هناك فى بلد لا تجمع الزكاة بواسطة (العاملين عليها) وإنما الأفراد هم الذين يعطون الزكاة، يكون سهم العاملين عليها موقوفا وليس معضلا، لأنه ليس موجودا.

جائزة الملك فيصل العالمية فيها خمس جوائز منها جائزة الطب وجائزة العلوم وجائزة الدراسات الإسلامية وجائزة الأدب.. إلخ فى بعض السنوات يقولون: حجبت الجائزة، إذ لم يوجد من يستحقها. لا يقال هنا: ألغيت الجائزة. الجائزة موجودة ولكن لم يوجد بحث يرقى بصاحبه إلى أن يستحق هذه الجائزة، صفة الاستحقاق هى التى امتنعت وانتهت.

فهنا ماذا فعل عمر؟ إنه لم يعد هناك من يستحق أن يكون مؤلفا قلبه، ولكن لم يلغ النص، ولذلك القول الصحيح الذى ذهب إليه المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم: أن سهم المؤلفة باق أبد الدهر، وهذا ما فصّلته وأيدته بالأدلة فى كتابى (فقه الزكاة).[1]

سهم المؤلفة باق، ونحن فى حاجة إليه فى عصرنا لنتألف الناس على الإسلام.

الذين يدخلون فى الإسلام، ويحاربون من أهليهم وذويهم ومن الجماعات التنصيرية فى حاجة إلى أن نتألف قلوبهم، حتى يرسخ إيمانهم.

نحن فى حاجة إلى أن نتألف بعض الزعماء فى بعض البلاد، وزعماء

---

(١) ينظر (فقه الزكاة) القرضاوى: ٢/ ٦٠١ - ٦٠٦.

OBEIKAN.COM

القبائل، ليدخلوا فى الإسلام، ويدخل معهم من وراءهم، أو على الأقل لا يحاربون من دخل فى الإسلام من أتباعهم.

هذه سياسة شرعية.

فكيف يقال إن عمر أوقف نصا فى كتاب الله، وعطل حدا من حدود الله؟!

عمر كان وقافا عند كتاب الله:

عمر كان من أوصافه: أنه كان وقافا عند كتاب الله، لو ذكر له أحد آية أو حديثا، سرعان ما يرجع عن رأيه إلى النص، حتى إن امرأة ردته وهو على المنبر حينما أراد أن يضع حدا أعلى للمهور فقالت له: كيف تفعل هذا يا أمير المؤمنين والله تعالى يقول: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** ﴾ [النساء:٢٠] فأشارت الآية إلى أن المهر قد يبلغ قنطارا، فرجع عمر عن رأيه إلى رأيها وقال: (أصابت المرأة وأخطأ عمر). مع أن ما استدلت به المرأة يمكن أن يناقش ويقال: القرآن ذكر هذا على سبيل المبالغة، ولكن عمر عاد عن رأيه إلى رأى المرأة.

لا يمكن لعمر ولا لغير عمر أن يعطل نصا من كتاب الله.

وما فعله فى عام المجاعة من إسقاط حد السرقة، كان ذلك لأن شبهة قامت: أن الناس إذا اشتدت المجاعة وعمت لا يسرقون إلا من حاجة. لا يسرق السارق إلا لأنه جائع يريد أن يشبع بطنه وأن يملأ معدته، والجوع كافر، والجوع لا يرحم.

من أجل ذلك رأى عمر هذه شبهة عامة توجب إيقاف الحد. لم يجب الحد ثم أسقطه عمر، لا، الحد لم يجب أساسا، لم يستوف شروطه، لم تنتف الشبهة، وقد جاء فى الحديث: «أدرأوا الحدود بالشبهات»[1]، «ادرأوا الحدود

---

(١) رواه الحارثي في مسند أبي حنيفة عن ابن عباس مرفوعا وأخرجه ابن السمعاني عن عمر بن عبد العزيز مرسلا) وقال الحافظ ابن حجر: وفي سنده من لا يعرف، وقال أيضا: اشتهر علي الألسنة والمعروف في كتب الحديث أنه من قول عمر بن الخطاب (كشف الخفاء: / ٧١برقم=

عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة». (١)

وهذا كان في الحجاز فقط، ولكن في مصر أو في الشام أو العراق لم يرد أن الحد أوقف، حيث وجدت المجاعة وجدت الشبهة.

فعمر لم يوقف حدا وجب، لا، بل الحد لم يجب ولم يقم، لأنه لم يستوف شروطه، ولم تنتف موانعه.

هذا ما فعله عمر رضي الله عنه.

فكيف يأتينا هؤلاء في آخر الزمان، ويقولون: أن في القرآن أحكاما مؤقتة قد بطل زمانها؟ أين هذا الكلام أيها القوم؟

القرآن جاء حجة. الله على الناس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أحكامه ثابتة، ﴿**يا أيها الناس**﴾ و ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ تخاطب الناس وتخاطب المؤمنين في عهد النبوة، وفي عهد الصحابة، وفي الدولة الأموية، وفي الدولة العباسية، وفي الدولة العثمانية، وفي العصر الحاضر،وبعد العصر الحاضر وبعد عشرين قرناً، وإلى أن يشاء الله.

أحكام القرآن ثابتة لأنها تمثل أمر الله تعالى ونهيه، ولا يستطيع أحد أن يرد أمر الله تعالى ونهيه. كيف يستطيع المخلوق الضعيف أن يجعل نفسه نداً للخالق

=١٦٦) وذكر البيهقي في المعرفة أنه جاء من حديث علي مرفوعا (فيض القدير للمناوي: ١/٢٢٧ برقم ٣١٤).

(١) أخرجه الترمذي في الحدود عن عائشة رضي الله عنها، وقال: حديث عائشة لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث محمد بن ربيعة عن يزيد بن زياد الدمشقي عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ، ورواه وكيع عن يزيد بن زياد نحوه ولم يرفعه، ورواية وكيع أصح، وقد روي نحو هذا عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا مثل ذلك، ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث ويزيد بن أبي زياد الكوفي أثبت من هذا وأقدم (عارضة الأجوذي: ٦/١٩٨، ١٩٩) دار الكتب العلمية – بيروت.

وقد أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٨٤) وقال: صحيح الإسناد، وخالفة الذهبي بأن يزيد بن زياد قال فيه النسائي: شامي متروك.

القوى القادر العليم الحكيم؟ كيف يستطيع الإنسان الضعيف المحدود الإدراك أن يقول لله: أنا أعلم منك بمصالحى ومصالح عبادك؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

قدس الأقداس هو القرآن الكريم، ولا يجوز أبدا أن نسمح لأحد أن يتطاول على كتاب الله عز وجل، نحن نقول: إن علينا أن نطبق أحكام القرآن بضوابطها وشروطها.

لا شك أن هناك أناسا من المسلمين أساؤوا استخدام هذه الأحكام، ووضعوها فى غير موضعها، وهؤلاء لاشك أن الإسلام حجة عليهم وليسوا هم حجة على الإسلام.

يجب أن ندعو الناس إلى أن يلتزموا أحكام الله بشروطها. إذا وجد من يظلم زوجته الأولى أو الثانية، ولا يرعى حق الله فيها، ولا يقيم العدل، ولا ينفق عليها بالمعروف، فهذا قد خرج على حدود الله، وخرج على أحكام كتاب الله، وكتاب الله حجة عليه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا فى ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لازالت الأيام تثبت ما قلناه: أن هذا السلام المزعوم سلام هش، سلام لا يقوم على أسس متينة، ولا على ركائز ركينة، إنما يقوم على ما تريده إسرائيل.

ما تريده إسرائيل هو الذى ينفذ وهو الذى يمضى، وما نريده، لا نعطى منه إلا من ثقب الإبرة. هكذا يقول (نتنياهو) نحن نقرر والفلسطينيون

OBEIKAN.COM

ينفذون! يقول هذا بكل استعلاء ولا يبالى بأحد. لا يبالى بأمريكا، ولا بأوروبا، ولا بروسيا، ولا بالصين، ولا بالعرب، ولا بالعجم. إنه يقرر وينفذ ما يقرره بل يريد من الفلسطينيين أن ينفذوا ما يقرره هو.

ولذلك قرر أن يقيم مستوطنة فى القدس الشرقية فى جبل (أبو غنيم)، وبعد أيام قليلة سيبدأ التنفيذ، لأننا لا نملك إلا الصراخ.. إلا الاحتجاج، وهذا لا يغير من الواقع شيئا.

لا يمكن أن تخضع إسرائيل إلا لمنطق القوة، لا لقوة المنطق، منطق القوة هو الذى يجبرها على أن تتراجع.

الجهاد فى سبيل الله، الانتفاضة الجديدة، انتفاضة الشباب والأطفال والرجال والنساء، حماس والجهاد والإسلامى وحزب الله، كل هؤلاء هم الذين يجبرون إسرائيل على أن تتراجع.

وقد لا تتراجع اليوم، ولكن على الأقل تبقى الشعلة متقدة لا تنطفئ أبدا حتى نسترد حقوقنا، وحتى لا نسلم فى قدسنا ومسجدنا الأقصى.

هؤلاء لا يريدون أن يبقى لنا شئ، عشرات الآلاف يراد لهم أن يستوطنوا القدس الشرقية، وتبقى هذه الأقلية العربية المسلمة والمسيحية لا تساوى قطرة فى هذا البحر من الإسرائيليين، هذا ما يريده هؤلاء المستكبرون.

ماذا نستطيع أن نقول إلا أننا نرفض هذا، ولا نسلم به،ونقول: نحن أصحاب الحق، وسنظل ندافع عنه، ونقاتل فى سبيله ما دام فينا عرق ينبض ونفس يتردد.

ونحن نعتقد أن الحق منتصر فى النهاية، قد يكون لليهود جولة أو جولتان أو ثلاث، ولكن دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿**بَلْ نَقْذِفُ**

OBEIKAN.COM

﴿ بالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

اللهم انصرنا وانصر بنا، اللهم أعزنا وأعز بنا.

اللهم أعز الإسلام وأيد المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هى السفلى.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين. اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذى لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم ول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد و على آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].